رواية خيال علمي

حوادث ايانسيا

موسى نيازي

دار الزنبقة

حوادث إيرانسيل

رواية

موسى نيازي

obeikandl.com

دار الزنبقة للنشر الالكتروني الحر والترجمة

Zanpaka.com

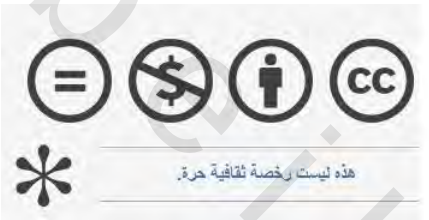

رخصة العمل : هذا العمل مرخص برخصة تَسب المُصنَّف - غيـر تجـاري - منـع الاشـتقاق 4.0 دولـي المشـاع الإبـداعي. لمشـــاهدة نســـخة مـــن هـــذه الرخصـــة، قـــم بزيـــارة ./http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0

حوادث إيانسيا

رواية

موسى نيازي

الطبعة الالكترونية الأولى . كل الحقوق الفكرية محفوظة .حوادث ايانسيا ©2014 ، نشر دار الزنبقة .

حقوق الصورة الامامية والخلفية تعود لموقع http://www.marcobauriedel.com©2014

حقوق النص الادبي كاملة . النص الادبي الكامل .تعود للمؤلف :موسى نيازي . ©2014

حقوق التصميم للغلاف والتنسيق الداخلي والمراجعة تابعة لدار الزنبقة للنشر الالكتروني الحر. ©2014

تصميم

obeikandl.com

1-الكابوس

تحت جنح الظلام، وفي عز الليل...

وصمت الليل الشديد الذي يعم المكان...

فجأة انتفض ذلك الشخص في فزعة بالغة...ورعب لم يشعر بمثله في حياته...

وأطلق صرخة الرعب بلغ معه القلب إلى الحنجرة في وسط الظلام يشق صمت الليل... وعيناه تتسعان على الآخر.

فجأة دخل نور وسط الظلام وصوت طرقة عنيفة.

وتلاها دوي صوت أنثوي يصرخ مقاطعاً لصراخه:

-(ساااامي)!....

إلتفت هذا الشاب متفاجئاً إلى مصدر الصوت والضوء.

وشاهد هناك إمرأة تقف عند باب حجرته.

كان (سامي) يلهث ويعرق ، وقلبه ينتفض بغاية العنف ، لدرجة شعر أنها أوشكت أن تكسر قفصه الصدري.

قشعريرات شديدة كانت تنخر في جسده كأنها دبابيس.

تشنجت عضلاته وتجمدت ، كالذي يشاهد الموت بأم عينيه.

وهنا إستدرك أخيرا أن كل هذا...كان مجرد كابوس...الحمد لله!

وكانت هذه المرأة تحدق فيه متعجبة التي كانت أمه بالرضاعة والتبني ، في وسط الأربعينات من عمرها ، وتلهث بشكل خفيف نتيجة صراخها.

obeikandl.com

شقراء الشعر ملفوف وبيضاء البشرة وجميلة ، متوسطة الطول وبدينة قليلاً ، تواجه ذلك الشاب المراهق.

الذي كان مراهقاً في السابع عشرة من عمره ، بشرته بيضاء ، شعره أسود قصير ووسيم ، نحيل وضعيف الجسد متوسط الطول.

قالت أمه بصوت هادئ مليئ بالشفقة والرحمة:

-ما الذي جرى يا حبيبي؟

تحركت شفتي (سامي) المرتجفتين بصعوبة، فأجابها بصوت مهزوز ضعيف:

-مم...مجرد...كابوس...آخر...

تقدمت أمه التي ترتدي فستان النوم منه ببطيء ، وجلست بجواره في هدوء ، وهي عاقدة لحاجبيها في قلق.

وضعت يدها برفق على كتف الشاب ، الذي لم يبدو أنه انتبه أنها حتى بجواره ، فقالت عاقدة لحاجبيها بإهتمام وقلق:

-حدثني يا بني...هل هو مثل كوابيسك الماضية؟

عاود (سامي) ينظر إلى الأرض نظرة مكسورة ، عاقد حاجبيه يتأمل لثواني ، ثم أجاب بنفس الصوت المهزوز:

-في الواقع يا أمي...كابوس عن نفس الموضوع...كارثة كبرى تؤدي لإبادة هذه المدينة بأكملها...

فقال بصوت أكثر ضعفاً يعبر عن مقدار صدمته:

obeikandl.com

-كل مرة شيئ مختلف ، مرة فيضانات كبرى...مرة زلازال مدمرة...ومرة حرائق تلتهم كل شيئ ، وكل مرة أشاهد ملايين الناس يموتون...، وينتهي المطاف بإبادة المدينة عن بكرة أبيها...

أطلقت أمه تنهيدة تذمر وهي تقف على قدميها تغادر وتحرك رأسها ، وكأنها تعبر عن يأسها من حل مشكلة إبنها.

فتوقفت فجأة والتفتت إليه بطريقة حادة ، قالت بلهجة هجومية خفيفة وهي تحرك يديها:

-أخ (سامي)...هذه المرة العاشرة ترى كابوس عن نفس الموضوع في بضعة أسابيع ، لماذا ما زلت ترفض رؤية أي طبيب بهذا الشأن؟

رد عليها (سامي) بصوت يحمل ثقة بما يقوله:

-ليس الطب المادي هو من يحمل جواب لنبوءات المستقبل

انفجرت في وجهه والدته تهتف بانفعال:

-مستقبل!!؟ ، منذ متى وأصبحت (نوسترادموس)؟؟

رد عليها (سامي) بلهجة هجومية خفيفة محاولا الدفاع عن رأيه قائلا بإنزعاج:

-أمي! ، هذه المرة المليون أرى التحذيرات في منامي ، لا يمكن أن يحدث عبث ، لابد أن هناك تحذير شديد من خطر محدق ينتظرنا!

ثم إستطرد بإندفاع:

-الحلم هذا و سوابقه ، كانت واضحة ، وتحمل تفاصيل مثيرة ودقيقة ، لا يعقل أن يكون كل هذا مجرد هلوسة أصابت عقلي!

ردت عليه أمه بإنزعاج شديد:

obeikandi.com

-ولماذا تعتقد أنك أنت الوحيد الذي تصله التحذيرات؟ ، ما الذي يجعلك مميز عن الآخرين؟

ثم صمتت لعدة ثواني تفكر في ما قالته وتداركت لجملتها الجارحة التي نطقت به ، فقالت بصوت هادئ شفوق:

-يا بني أعلم أنك إنسان مميز ، لكن ليس بهذا الشكل

ثم إقتربت منه ببطئ تضع يدها الأيمن على كتف (سامي) برفق ، وأضافت بثقة عجيبة:

-فرضاً لو كان هذا بالفعل هو المستقبل ، هل ستسمح لهذه الكوابيس أن تفسد عليك فرصتك ، في الإستمتاع بما تبقى من وقت في حياتنا الجميلة؟

واتسعت إبتسامتها بشكل أكبر فأضافت:

-أليس من روائع الحياة هو الغموض؟ ، والمستقبل غامض ، لا تسمح لوسواسك إفساد هذه المتعة يا بني...

عقد (سامي) حاجبيه متفاجئا من حكمة أمه الرائعة وهو يتأمل في نظراتها التي إرتسمت على شفتيها إبتسامتها العطوفة الفخورة بإبنها ، وأضافت بلهجة دافئة حنونة:

-أنت في آخر سنة قبل التخرج من الثانوية وتدخل الجامعة ، ومستقبل باهر في إنتظارك... ، لا تشغل نفسك بهذه التفاهات ، نحن نعيش في ظل إمبراطورية قوية ، وسوف تحمينا من أي مكروه ، فلا تقلق يا حبيبي...

ثم قالت بلهجة مرحة:

- ما زالت الساعة إحدى عشر مساءا ولديكم مدرسة غداً ، نم جيداً...

وتابعت بنفس اللهجة:

- أحلام سعيدة يا بني .

أدارت الأم ظهرها لإبنها مغادرة فسألها (سامي) بإستنكار وتعجب:

-ما الذي يبقيكِ مستيقظة حتى هذا الوقت؟...

أدارت أمه له بنظرة حادة فقالت مازحة بإبتسامة خبيثة وهي تشير عليه بسبابتها:

-أنا فوق القانون...لا تنسى!...

ثم غادرت الحجرة من دون كلمة أخرى وأغلقت الباب خلفها بعنف.

تبسم (سامي) ابتسامة عريضة فقال يحدث نفسه بهدوء وسط الظلام:

-بالتأكيد...طالما أن أبي ما يزال مسافراً...

لكن هذه الابتسامة تحولت فجأة إلى ما يعبر عن مرارة شعر بها ، فحدث نفسه يقول:

-كم أنتي رائعة يا أمي... ، لكن من أجلك... ومن أجل هذه العائلة العزيزة ، لن أقف مكتوف الأيدي بعد اليوم... حتى أعلم سر هذه الكوابيس!

ثم تألقت عيناه يحدث نفسه بزمجرة غضب وخوف:

-مدينتنا العزيزة (نيكسال)...أخشى أنها في خطر عظيم...

***

obeikandi.com

2-العائلتان السعيدتين

في الصباح الباكر التالي:

-كاااالفن! أيها الدب البدين المزعج! ، أريد أن أناااام!

إستيقظ (سامي) في الصباح التالي منزعجاً من هذا الصوت الأنثوي الذي يصرخ!

لكنه لم يكن صوت والدته الحنونة بالتأكيد.

عاود الصوت الأنثوي النحيل يصرخ ويشتم ، وهناك صوت ذكوري يرد عليها صارخاً:

-أصمتيييييي!

إنتفض (سامي) من سريره بإنزعاج ، نهض يفتح باب الحجرة الذي كان في الطابق الأول من البيت ، إتجه للسور الذي يطل على الصالون في الطابق الأرضي ، وهو يستمع دوي الشجار ، فغمغم يقول لنفسه:

-آآآه.. ، ليس شجار آخر بين أخي وأختي من أمي بالتبني

كانت هناك في الصالون فتاة شابة مراهقة ، وشعرها أسود ناعم قصير ، كان منفوش وغير مسرح ، وترتدي ملابس النوم وتقبض يديها بشدة.

تواجه رجلاً شديد البدانة وضخم الجسد شعره أسود ملفوف وقصير ، ويربي لحية خفيفة ، ويرتدي نظارات طبية وقميص وبنطال أسودين ، جالس على أريكة منفردة منحني الظهر ، منغمس في لعبة إلكترونية هلوجرامية حربية ، يقاتل بغاية البسالة والشجاعة.

لم يطيق أحد يجترئ على تعريض مهمته الخطيرة إلى خطر!

oberkanal.com

يتضح من إهماله وتبذيره إنتشار أكياس وعلب الوجبات السريعة التي يأكلها بإستمرار حوله على الأرض.

واصلت أخته تصرخ به:

-ما الذي يجعلك تصرخ وتوقظني!؟ ، ليست مشكلتي إذا لا تجيد اللعب!

رد عليها (كالفن) وهو منغمس بلعبته:

-وليست مشكلتي أن نومك خفيف! ، أما تريني مشغول ألعب على الإنترنت الفضائي مع أصحابي!؟

وضعت أخته يديها على حوضها تقول بإستهزاء غاضب:

-أووه ، وأنا المفروض أخدمك بالمساج مثلاً؟ ، لكي ترتخي في مهمتك الخطيرة لإنقاذ المجرة؟؟

رد عليها (كالفن) وهو منغمس في اللعب يشعرها كأنها ذبابة متطفلة:

-أنتي مزعجة يا (ريتشل)! ، دعيني وشأني!

ثم زمجر مغمغماً يقول في إحتقار:

-النساء مزعجات!

رمقته (ريتشل) بنظرة نارية هائجة فهتفت به وهي تهز رأسها بكلامها:

-أتعلم شيئاً؟ ، ليست مشكلتي أنك لا تريد القيام بعمل مفيد في حياتك ، لكن أنا لدي دراسة ووقت نوم يجب عليك أن تحترمه!

ثم قالت هي الأخرى تغمغم:

-شخص مثلك كل حياته ومستقبله في الألعاب الإلكترونية

رد عليها (كالفن):

obeikandi.com

-على الأقل أفضل منك ، كل حياتها مع صديقاتها ، والجري وراء العروض والموضات ، وتبذير الأموال فيها ، ما أتفهكن!

ردت عليه (ريتشل) بلهجتها النارية:

-على الأقل أنا لدي مستقبل مشرق ، ليس مثلك مستقبله كله في الألعاب!

بدأ (كالفن) يقول:

-أي مستقبل وأنتِ...

قاطعه (سامي) يهتف بغضب:

-أنتما الإثنين مزعجان! ، ليست مشكلتي أنكما لا تطيقان بعض ، حتى أنا لدي وقت نوم عليكما إحترامه!

إلتفتت إليه أخته (ريتشل) ترمقه بنظرة حادة خارقة وترد عليه بحدة:

-أي وقت للنوم وأنت ترج البيت بعويلك من كوابيسك وتزعجنا كل مرة!

ثم قالت بلهجة إستهتارية إحتقارية تهز رأسها ساخرتاً:

-تنوح لأمي مثل الأطفال: رأيت نهاية العالم.. رأيت نهاية العالم... أووه أنا خائف ، ماما أحضنيني!

كانت تلك الكلمات كافية لتجرح قلب (سامي) الذي رد عليها:

-كوابيسي عن دمار المدينة فقط وليس العالم بأكمله!

ليت أخته إكتفت بما قالته ، ردت عليه بحدة إحتقارية:

-كأنه سيؤدي لفارق! ، إذهب وادمج هوسك مع هذا البدين المهوس بألعابه ، أنتما تصلحان لبعض...، عقلان من نفس السلة...

قالتها وهي تنظر بإزدراء لأخوها الآخر (كالفن) ، الذي لم ينتبه أصلا لما قالته ، لكونه مندمج بشدة مع لعبته الإلكترونية...

في تلك اللحظة شعر (سامي) بإحتقان شديد تجاه أخته ، وإهانة كأنها صفعة على وجهه.

وكانت مشاعر الغضب هذه.. أفشلته أن يرد على أخته المغرورة بأي رد لفظي شديد مماثل.

لو كان الذي قاله أخوه وليس أخته لما تردد أن ينقض عليه ويحطم أنفه!

لكنها للأسف بنت ولا يستطيع أن يهاجمها.

واشتعلت نيران الغيظ في عروق جسد (سامي) ، وهو يشاهد أخته (ريتشل) تصعد الدرج ، في طريقها لحجرة نومها المواجه للدرج والمجاور لحجرة نوم (سامي) ، وهي ترفع أنفها للأعلى.

أطلق (سامي) تنهيدة مزمجرة غضبة ، وهو ما زال يمسك نفسه من أن يفقد أعصابه.

أخذ يذكر نفسه: الهجوم أسلوب الضعفاء ، الذين إذا إنهزموا في شجار كلامي يلجأ للقوة في محاولة يائسة لاسترجاع ماء الوجه ، أنا لن أضع نفسي في مستواها الدنيء!...

ثم عاد (سامي) لحجرة نومه الصغيرة وأغلق بابها خلفه بعنف.

تاركا أعصابه الساخنة تحرقه ببطئ.

وبدأ بتجهيز حقيبة المدرسة... ، إستمع مجدداً لصوت (كالفن) يهتف مزمجراً متشاجراً مع لعبته:

-لاااااا!.. ، مستحيييل!.. ، هذا ليس عدل!

قال (سامي) يحدث نفسه في عقله:

-آخخخ...نعم هاذين هما أخي وأختي ، مزعجان وكريهان كعادتهما ، أنا لا أطيقهما ، (كالفن) 21 عام ، ساهمت معه في شراء ذلك جهاز الألعاب الإلكترونية ، واستولى عليه لوحده لا يعطيني فرصة أستخدمها بتاتاً ، فهو لا يطيق ترك اللعب ولو لحظة واحدة...

-(ريتشل) 17 عام ، وكلانا في السنة الأخيرة من الثانوية... ، شخصيتها مغرورة ، متغطرسة ، ومزعجة ، وكلانا لا نطيقان بعض بتاتاً...

وعم في وجهه مشاعر الألم والحسرة يحدث عقله:

-الأمر العجيب هو إني وأختي كنا صديقين حميمين في طفولتنا ، نشارك جميع أفكارنا سوياً ، ونلعب سوياً ، ونخلق عوالم خيالية سوياً...

وابتسم لا إرادياً يحدث عقله:

-كنا حتى نتشارك في الدمى ، فكانت هي تحضر دمى أنثوية وأنا أحضر معي دمى الديناصورات والوحوش ، وندخلها معاً بتعسف في نفس العالم...

ثم حرك رأسه في حسرة يحدث عقله:

-أنظروا كيف تتغير النفوس مع بلوغ سن المراهقة ، كما أن صديقاتها السيئات كن لهن دوراً في ذلك ، لقد أفسدنها وغسلن مخها ، جعلوها شخصية كل إهتمامها على منظرها الخارجي بدلاً من قلبها الطيب

ثم قال في نفسه:

-(كالفن) و(ريتشل) ليسا شقيقاي بالنسب ، أنا مجرد كنت طفل صغير وجدوني من دور رعاية الأيتام... من أب وأم مجهولين ، لم يتركا خلفهما أي آثار سوى إسمي الحالي الذي سموني به في شهادة ميلادي

obeikandl.com

الغامضة ، التي طمسوا فيها أي أثر لإسم والدي الحقيقيين وعائلتي الأصلية

-لقد إستلمتني عائلة (آلبستن) السعيدة ، وتركوني على إسمي الأصلي: (سامي) ، رضعتني أمي بالتبني العزيزة إلى جانب (ريتشل) الأكبر مني ببضعة أشهر ، وبالنسبة لي فقد أدخلوني المدرسة مبكراً لعمري في طفولتي ، مما يجعلني أنا وأختي في نفس السنة الدراسية...

ثم قال لنفسه:

-لقد قرر أمي وأبي ان يتبنياني منذ طفولتي ، لقصة طويلة لا تهمني تفاصيلها... ، كم أنا ممتن لهما...

شعر (سامي) في قلبه بشعور الرحمة والمحبة كالبرد ليطفئ سريعاً نار الغضب ودون أي مقاومة ، فقال في عقله:

-فمهما نشعر بإحتقار تجاه بعض في هذه الأسرة ، إلا أننا جميعاً نكتم تجاه بعض الحب الحقيقي... ، وهم أبداً لم يشعروننني بأي غربة أو تهميش أو إختلاف عنهم ، وفي أوقات الأعياد مثلاً ، يظهر الحب المتبادل جلياً في وجوه الجميع ، ولما يصبني مكروه ، الجميع يتجمع حولي ، ويتألمون لألمي...

ثم كشف (سامي) عن ذراع يده اليمنى النحيلة يتأمل في المرآة بذلك الشعار الغريب الذي وجدوه في صغره على ذراعه ، وقد كان مطبوعاً بالحرق ، وما زالت موجودة على ذراعه بكل وضوح.

دائرة ، يشقها خط ، ويلتقي بثلاثة خطوط أخرى ، كلها لتقي في الوسط ، أخذ يسأل نفسه:

-من فعلها ، ولماذا؟ ، ما الذي يعنيه هذا الشعار الذي طبعوه علي في طفولتي قبل أن يتخلوا عني؟

ثم شاهد حقيبة المدرسة واستخرج كتاب ، وضع يده على جبهته يقول في تضايق شديد:

-لا! ، وضعت كتب يوم الأربعاء بدلا من الثلاثاء ، يا لحماقتي ! ، هذا كله من تشتت الأفكار!

سمع (سامي) فجأة صوت باب البيت يغلق ، وخطوات تحدث ضجة لافتة ، فقال (سامي) برعب:

-يا إلهي إنها أمي ، لقد عادت سريعاً من مشوارها للبقالة

سمع صوتها تهتف:

-(سااااميي)! ، (ريتشل)! ، هل تجهزتما للمدرسة!؟

سمع صوت (كالفن) يقول:

-لا أظن

ردت عليه أخته (ريتشل) التي غادرت غرفتها:

-أصمت يا (كالفن)!...، أمي! ، ما زلنا نصف ساعة مبكرا!

قالت الأم بصرامة بلهجة معاتبة:

-وما زلتما تنتظران حتى آخر لحظة للتحرك ثم يصرخ أحدكما ويولول أنه فقد شيئا ما

وصلت الأم للدور الأول ، طرقت على (سامي) الباب بعنف فقالت:

-(سامي) هل أنت جاهز؟

صمت (سامي) قصيراً يتأمل في كتب المدرسة بقلق ، وقال في براءة:

-آآه ، أعطيني دقيقتين يا أمي

obeikandl.com

ثم وضع يديه على أذنيه يحاول تجاهل عتاب أمه الصاخب عليه من خلف الباب...

***

بعد قليل كان (سامي) يحمل خلف ظهره حقيبته المدرسية ويرتدي زي المدرسة الرسمي.

قميص أبيض نصف كم وبنطال أسود يرتديه مع حزام وحذائين أسودين.

كان خارج سور منزله المبني على طراز معماري مميز في ذلك الزمان ، فوقه من الأعلى قبة رخامية ناعمة ، كما هو حال معظم منازل هذا الحي المصنف ضمن الطبقة الإجتماعية الوسطى.

كان بيته إلى جانب بقية بيوت الحي مزودة بوابتين ، واحدة إلكترونية خاصة بالسيارة والأخرى للأفراد.

(سامي) كان يقف على شارع الحي المبني من معدن ، والمنازل الجميلة تحيط بالشارع من الجهتين ، وكذلك أعمدة الإضاءة التي ما زالت تضيئ في وقت الصباح الباكر.

والعصافير تزغرد إحتفالاً بشروق ذلك الشمس الجميل في سماء صافية على سطح هذا الكوكب البعيد عن وطنهم الأم.

حيوانات وحشرات إنتشرت مع البشر في كل هذه الكواكب...

أخذ (سامي) يرن جرس باب منزل جيرانه الملاصق لمنزلهم ، فخرج من جهاز الجرس بث هلوجرامي شفاف لرجل ما يربي شارب يسأل:

-(سامي)! ، تجهزت باكراً ، آآه.. إبني (هانري) لم يجهز للمدرسة بعد

سمع صوت آخر يرد عليه من السماعة بعصبية:

-أبي ، دعني فقط أكمل فطوري!

أطلق والده صاحب الشارب تنهيدة ثم قال:

-تعال أدخل يا (سامي) ، البيت بيتك

إختفى البث الهلوجرافي فجأة وسمع (سامي) دوي أزيز وانفتح باب باحة المنزل آلياً ليعبرها ، فقال (سامي) في عقله:

-(هانري) من عائلة (الكالوم) ، جيراننا الأعزاء ، والشاب هو صديقي العزيز منذ الطفولة ، والدي لا يطيق والده بتاتاً ، لكن على عكس حالي مع (هانري) ، أصدقاء كالجسد الواحد...

فتح رجل باب المنزل أمام (سامي) الذي إنغلق خلفه باب الباحة بشكل آلي.

وكان جاره الرجل فعلا حليق الوجه ، إلا أنه لم يحلقها هذا الصباح ، وكان يربي شارب وشعره أسود ناعم وقصير بدأ يتساقط من أعلى الوسط ، كان يرتدي نظارة طبية مستطيلة.

ويرتدي ملابس فوقه معطف الإستحمام غير مربوط نتيجة إستحمامه ، يحمل بيده الأيمن كأس زجاجي مملوء بالقهوة ، ما زال يحتسيه بمرارة وهو واقف في خمول.

قال له (سامي) ببراءة:

-صباح الخير عمي (إيدود)...

كان من طبيعة حاله ينادي جاره الذي يقرب من عمر أبيه "بالعم".

ولاحظ (سامي) من وجه جاره (إيدود) أنه يبدو مشمئزا نفسيا من أمر ما ، وخامل ، أخذ يدعك رقبته ، أشار له يقول مغمغماً مرحباً ترحيبة باردة:

-تفضل يا بني وانتظر (هانري) في الداخل حتى يكمل فطوره...

لما دخل (سامي) مع الرجل إلى المنزل: لم يتفاجئ (سامي) من مناظر الإهمال والفوضى التي تصيب ترتيب المنزل ، والإهتمام بالنظافة ليس بالمستوى المطلوب ، لقد تعود (سامي) على حال جاره العزوبي المسكين.

تقدم جاره ينادي بغضب:

-(هاانرييي)! ، لماذا تأكل كأنك غنم!؟ ، هذا مجرد فطور!

كان هناك شاب مراهق جالس بجوار مائدة المطبخ المطلة على الصالون يرتدي نفس زي (سامي) المدرسي ، فرد على والده في إنزعاج بالغ:

-أبي ، لو إنك لا تريدني أشرق الطعام في حلقي أقترح عليك أن تصمت!

لم يشعر (سامي) بأي تعجب من شجار الأب والإبن ، لقد تعود طوال حياته على هذا المنظر بينهما.

في الواقع كان (سامي) دائما يتسلى على منظر الشجار بينهما ويراه مضحكاً ومروحاً عن النفس ، ياله من طريف هذا الشكل من الشجار الودي بين الأب والإبن.

تخيل نفسه لو كان هو من تفوه بهذا الألفاظ لأبيه ، لسكب القهوة الساخنة على وجهه.

تحرك والد (هانري) يحمل قهوته يقول متذمراً:

-اللعنة هذه الحياة لئيمة وبطيئة ، ما هي مشكلة الناس هذه الأيام يتحركون مثل السلاحف؟

obeikandl.com

كان يقولها ووجه يعبر بوضوح شديد عن مدى التذمر والإنزعاج الذي يكنه تجاه حياته ، ثم أطلق تنهيده وهو يلقي نفسه ببطئ على الأريكة ، حرصا على عدم سكب القهوة ، فقال متحسراً:

-آخ... ، كم أفتقد أمكم التي ماتت قبل سنتين في حادث مروري ، وكل هذا بسببي أنا ، لو إني لم أكن مسرعاً بالسيارة يومها...

كان يحرك رأسه ويضع إصبعيه على عينيه في حزن وأسف شديد ، يعبر عن أشد حسراته ، فرد عليه إبنه الذي كان أيضا يرتدي نظارات طبية يتكلم مع بعض الطعام في فمه:

-أبي ، كلما ذكرت إسم أمي في الصباح لا أستطيع أكمل فطوري!

نهض هذا الشاب النحيل القصير الأشقر الذي كان بنفس عمر (سامي) على قدميه وهو يرتدي نظارته الطبية دون أن يكمل فطوره ، أخذ يمسح بقاية الطعام بالمنديل عن وجهه ، وابتسم بمرارة في وجه (سامي) يقول:

-أنا جاهز

-باباا...أنا جائعة...

لفت هذا الصوت الأنثوي النحيل أنظارهم جميعا إلى إحدى مدخل الحجرة.

فتاة طفلة صغيرة شقراء بعمر أربعة سنوات دخلت عليهم بخطواتها الصغيرة ، وشعرها منفوش ، تحمل بيدها الأيسر دميتها الدب تحت إبطها ، تدعك عينها بيدها الأيمن ، وتبرز شفتيها بشدة وهي مستيقظة من نومها حديثاً.

رد عليها والدها يقول بعدما أطلق تنهيدة تذمر:

-إنتظري يا عسل ، سأعملك فطور بعد نشرة الأخبار القصيرة

ثم أمسك بآلة التحكم يرفع صوت التلفاز الهلوجرامي ثنائي الأبعاد يتابع النشرة الإخبارية الصباحية وصوت مذيع يتحدث من الهيلوفاز.

في حينها تبسم (سامي) في وجه الفتاة الصغيرة إبتسامة رحمة وشفقة ، لكن أخوها (هانري) تقدم يقول لأخته الصغيرة بجلافة:

-(سالي) بابا لابد أن يأكل فطوره من التلفاز أولاً ، أما تراه جائعاً للأخبار؟

رد عليه والده يزمجر:

-أصمت (هانري) ، لقد كانت تحدثني أنا وليس أنت

رد عليه (هانري) مغمغماً وهو يظهر من شفتيه إحتقاره لأبيه:

-لا يبدو كأن الأمر يهمك

نظر (هانري) (لسامي) ووجه يعبر عن حالة الإنزعاج فقال له:

-هيا بنا (سامي) ننتظر في الخارج ، الحافلة المدرسية توشك الوصول...

-بابااا أنا جائعة!

تقدمت (سالي) تاركتا دميتها مرمية على الأرض وأخذت تسحب بيديها قميص والدها وتلح عليه أن يغذيها ، لكن والدها يبدو كأنه أوشك دخول الهيلوفاز بجسده من شدة إهتمامه ، فهمس (سامي) (لهانري) بخفوت ضاحك:

-أعتقد أن (سالي) لا تريد سوى لفت الأنظار وليست جائعة

وبينما يتجه (سامي) و(هانري) لباب المنزل تكلم والد (هانري) يقول متفرجا على الهيلوفاز:

obeikandl.com

-إبن الذين... ، أنظروا لما فعلوه الأوغاد!

واستطرد يقول بلهجة ذهول:

-هاؤلاء المتمردين... قاموا البارحة بتفجيرات إرهابية قتلت المئات ، أنظروا... ، وقع هذا في كوكب (الأرض) في قلب عاصمة الإمبراطورية (ناسيما)!

إلتفت (سامي) لوالد (هانري) متفاجئاً ، لكن (هانري) كشر أسنانه وكأنه يرغب يذكر جاره بأنها عادة والده اليومية.

ما لفت نظر (سامي) أنه شاهد (سالي) الصغيرة ترمي نفسها في عب أبيها في محاولة للفت انتباهه ، لكن أبوها قال متفاجئاً:

-حاسبي يا (سالي) ستكبي علي القهوة! ، آيييي!

انصب جزء من القهوة على عبه ، فوضع الكأس على المائدة أمامه بحذر يعيد تموضع إبنته الصغيرة في حضنه ، موجهاً كل إهتمامه بالأخبار.

تقدم (سامي) بصحبة (هانري) يتابعان الهيلوفاز.

شعر (سامي) بدهشة شديدة وهو يشاهد الهيلوفاز في قناة بث حكومية تصور منظر تواجد الإسعاف والدفاع المدني والشرطة بعرباتهم وأفرادهم ، يتجمعون حول أطلال مبنى مدمر بالكامل ، ودوي مروحية تحلق في سماء الشاشة.

علق والد (هانري) قائلاً:

-يا إلهي (مول) بأكمله تم تفجيره بشاحنة مفخخة مما أدى لإنهياره على من تحته...

كان طواقم الإسعاف والدفاع المدني والشرطة يعملون بجهد وكد شديد ما بين رش المياه على الحرائق وإنتشال الضحايا من قتلى وجرحى ، في حدث مأساوي لم يستثني أحد بلا أي رحمة...

ياله من منظر مأساوي فظيع يدمي القلب.

تألقت عينا (سامي) بشدة ، وتذكر حلمه البارحة ، فتكلم من تلقاء نفسه بشكل لا إرادي:

-يا إلهي ، أخشى أن يكون لكوابيسي المتعلقة بدمار مدينتنا علاقة بالفوضى التي بدأت تشتعل في أرجاء الإمبراطورية

إلتفت له صاحبه (هانري) يعقد حاجبيه بشدة يقول له بإستنكار وإستغراب مزدوج:

-ماذا؟!

رد عليه والده الذي كان يدرك عن كوابيس جاره (سامي) يقول ببساطة ولا مبالاة:

-ربما...

أظهر (هانري) مزيداً من الإنزعاج فقال يغمغم بلهجة متذمرة:

-كوكب (الأرض) بعيد عنا عشرات السنين الضوئية ، هنا كوكب (مسيجان) ومدينة (نيكسال) آمنة وبعيدة عن هاؤلاء الإرهابيين وعبثهم

رد عليه والده بلهجة إستهتارية:

-أخشى أن هذا لن يكون الحال لأمد طويل

ثم إلتفت فجأة إلى (سامي) يرمقه بنظرة حادة صارمة أشعرته أنها كادت تخرق عيناه ، فقال له (إيدود):

obeikandl.com

-كما ترى... الحكومة تخفي عنا الكثير ، هناك طرف ما...طرف مجهول لا يستهان به ، يريد زعزعة إستقرار الإمبراطورية بأكملها...

سأله (سامي) بأسلوب يعبر عن لهفته الشديدة بمعرفة الحقيقة:

-أعلم هذا الشيء ، لكن ما هو هذا الطرف؟ ، أو من هم؟؟

كشر (إيدود) أسنانه فأجابه محافظا على نظرته الحادة:

-كما قلت لك ، الحكومة تخفي عنا كل شيء ، ربما حفاظاً على هيبتها أمام شعبها...

دام بينهم صمت طويل كان يبدو كالدهر ، تجمدت عضلات جسد (سامي) من هول الدهشة والصدمة ، لكن (إيدود) إستطرد يقول بنفس اللهجة:

-مما يتضح جلياً أن هذا الطرف المجهول.. قد زاد نبرته العدائية تجاه نظام الإمبراطور (آيكام) ، فبدأ يضاعف من دعمه للمتمردين المعارضين له منذ عام كامل...

أخذ ولده (هانري) يدير عيناه حول نفسه في تضايق ، هتف بحدة يرد على أبيه:

-مرة تدافع عن عمل المتمردين ومرى تتهمهم بالعمالة لقوة مجهولة ، ما هذا التناقض؟

رد عليه (إيدود) بنبرة غاضبة:

-كم علي أذكرك ، هناك ثوار شرفاء يريدون إسقاط نظام هذا الطاغية ، الذي أباد وسجن مئات الملايين الأبرياء من شعبه ، وهناك خونة مرتزقة عملاء لقوة مجهولة تدعمهم ، وتدفعهم لإرتكاب هذه الجرائم

ثم أشار للتلفاز الهلوجرامي يقول بعصبية:

obeikandi.com

-هذا من عمل الخونة ، يقتلون الأبرياء لمجرد زعزعة هيبة الدولة ، هذا أمر غير مقبول على الإطلاق ، وهو يشوه سمعة الثوار الشرفاء أيضاً

ثم نهض على قدميه يقول مشير على الهيلوفاز بأعصاب متشنجة:

-أما لاحظتم أن هجمات الإرهابيين تضاعفت الأشهر الأخيرة في مختلف الكواكب؟ ، من عمليات إرهابية قتل وخطف وتفجيرات عشوائية ، تستهدف المدنيين والعساكر على حد سواء ، هذا من عمل المرتزقة الذين يتلقون الدعم من الطرف المجهول...

أخذت مشاعر الحيرة تضرب (سامي) بشدة ، فقد لاحظ أن هذا الشعب أصبح ما بين مطرقة الدكتاتورية ومسمار الإرهاب... ، ياله من أمر مقلق ومخيف...

في حين أشار (إيدود) مجددا للهيلوفاز يقول:

-الإمبراطور (آيكام) هذا يقود بلاده نحو الهاوية ، بإصراره على إخفاء هذه المعلومات عن شعبه ، ياله من أناني وجبان...

ثم أمسك بجريدة ورقية بجواره يحاول قرائتها ، إلا أن ولده (هانري) قاطعه يزمجر في هيجان:

-أبي! ، هل تريد أن تقودنا إلى المحرقة؟ ، هناك مخبرين وشرطة سرية في كل مكان يتنصتون على الناس ، لو سمعوا ما تقوله لن يتوانوا عن إعتقالك وتقطيعك أشلاء!

فجأة رمى والده الجريدة على المائدة في إحتقان مكتوم ، ورد على إبنه يغمغم في تذمر:

-النظام لا يحتاج أن يسمع سبابنا عليه حتى يعتقلنا ، هناك مئات الملايين من الأبرياء ملقون في السجون دون أي سبب أو تهمة ، إثنان منهم من جيراننا معتقلان دون أي سبب حتى...

إنتفضت عضلات إبنه (هانري) ، فأشار بيده لأخته الصغيرة (سالي) وهتف في غضب:

-هل إنتهيت من غسيل مخ هذه الطفلة المسكينة؟ ، هذه البنت قد تفضحك دون قصد ، هل تريد أن تراها مغيبة معك وراء الشمس؟!

ظهرت الصدمة على وجه أبيه بعدما تفاجئ من أسلوب رد إبنه ، إلا أن الطفلة (سالي) لطفت الأجواء المشحونة بسؤالها البريئ:

-بابا... ، ماذا يوجد وراء الشمس؟

ضحك (سامي) من سؤالها ، وأجابها والدها بحنان:

-مكان سيئ جداً يا حبيبتي...، لكن بابا لن يسمح أبداً لأحد يأخذك لهناك...

ثم طبع قبلة حنونة على خدها ، إلا أن العناد والفضول طغى على رأس الطفلة التي قالت بكل براءة:

-بابا أريدك تأخذني لوراء الشمس.. ، أرجووووك...

وضع (إيدود) على وجهه متحطماً فقال في عصبية متذمرة:

-أنظر ماذا علمتها (هانري) ، لا أدري كم وقت سيأخذ مني لأنسيها هذا الهراء!

أطلق (هانري) تنهيدة إحتقارية تجاه والده ثم رد عليه بعصبية:

obeikandi.com

-أنظر للذي فتح الموضوع... ، ربما عليك أن تبدأ تقرأ عليها قصص ما قبل النوم لتغذي خيالها بقصص مفيدة...

-لماذا لا تقرأ عليها أنت؟

-أنا لدي دراسة!...

-أنت لا تفتح كتبك أبداً!

في وسط هذا الشجار بين الإثنين: لفت نظر (سامي) الشاشة الهلوجرامية.

التي ظهر فيها صورة رجل بزي عسكري رفيع الرتبة بدين وعريض الكتفين وشائب ، ولديه شارب أبيض ويرتدي قباعة عسكرية حمراء ، كان يقف خلف منصة مرتفعة فاخرة مزودة بمكبرات الصوت ، وخلفه ستار رمادي عريض وراية الإمبراطورية ، أخذ يتحدث للناس في مؤتمر صحفي.

وقد كان هو وزير داخلية الإمبراطورية كما كان مكتوباً في الشاشة.

أخذ الوزير يتهدد ويتوعد بسحق الإرهاب ، وكأنه بملامحه المكشرة المخيفة يعبر بالنيابة عن غضب النظام الحاكم بأكمله...

سمعوا خلال ذلك دوي زمير عربة لفتت أنظارهم من الخارج ، فقال (هانري) بصوت يعبر عن رغبته الملحة في المغادرة:

-وصلت حافلة المدرسة...هيا بنا...

وبينما يغادران المنزل سمعا صوت (سالي) الصغيرة تنادي مزمجرة بعد نفاد صبرها:

-بابااااا!... ، أنا جاااائعة!...

3-جحيم المدرسة

كان (سامي) جالس على متن تلك الحافلة الضخمة المبنية على شكل نصف أسطواني ، وتسير على عجلات متطورة فوق الشوارع المعدنية التي تشقها خطوط مصبوغة لتنظيم المرور ، تعصف به مشاعر الملل.

الحافلة ممتلئة بطلاب وطالبات المرحلة الثانوية ، الغارقون في أحاديث جانبية ، وأصوات الضحكات تعلو من أفواههم.

كان المنظر من داخل الحافلة يبعث بالتأمل و الجاذبية ، ففي وسط عصر الرعب ، ما زال هناك أناس مصرين على عيش حياة مرحة بريئة بعيداً عن كل هذه الهموم.

خاصة أن هؤلاء المراهقين تعج عروقهم بالأمال والطموحات وروح الرفاهية والفكاهة.

ها هو (هانري) جالس بجوار (سامي) صامتان صمت القبور على عكس البقية ، و(سامي) منسرح البال يتابع النافذة المطلة على الشوارع ، أخذ يستمتع بالتأمل في هذه المناظر الرائعة الخلاقة لهذه المدينة العظيمة...

أخذت الحافلة تجول فوق تلك الشوارع المعدنية الحضارية العريضة ، محاطة بأسوار معدنية قصيرة ، وأعمدة الإضاءة المسائية التي إنطفأت وقت النهار ، وكذلك بعض اللوحات الإعلانية ولوحات الإشارات التنبيهية.

كانت الحافلة تسير بين العديد من السيارات وبعض الشاحنات والحافلات النقل العام ، كانت جميع العربات في هذا الزمان تملك مكائن جبارة وخلايا شمسية في أسطحها ، وتسير على عجلات مطاطية بالكامل ، بطريقة تستوجب الذهول والتأمل.

openkanari.com

و(سامي) يتأمل في العديد من الأشجار والحدائق الجميلة المحيطة بهم والتي يمرون عليها طوال الوقت.

تبعث فيه شعور الراحة النفسية.

راحت الحافلة تسير فوق جسر شاهق بالقرب من وسط المدينة التي تملئها ناطحات سحب عريضة جدا ، وكانت بعضها ناطحات شاهقة للغاية بارتفاع كيلو أمتار عدة.

لدرجة أنهم لا يستطيعون رؤية قممها من فرط الارتفاع.

مما زاد من شعور (سامي) بالمتعة جراء التفرج والتأمل.

خاصة لأنه هناك في أسفل بعض الناطحات أنهار عريضة من المياه تشق قلب المدينة ، والتي تقطع من فوقها جسور عديدة للسيارات والمشاة.

جعل المنظر رائع وخلاق بكل معاني الكلمة.

وهناك بين الناطحات بإرتفاع شاهق شبكة معقدة من مئات الشوارع المحاطة بجدران أسطوانية شفافة ، تشق السماء مرتبطة بأعمدة تمسك بتلك الناطحات ، تقطعها مئات السيارات ذهابا وإياباً...

وبرفقة هذه الشوارع أيضاً ينتشر هناك جسور عديدة ، كانت عبارة عن رصف عريضة لسير المشاة ، مزينة بالحدائق والزرع الجميل ، مزودة بنوافير نشطة ، محاطة بزخارف صخرية مزينة.

وكانت هذه المناظر تثير إعجاب (سامي) بشدة ، وكان دوماً يتشوق للسير هناك.

بين ناطحات السحب توجد أيضاً شبكة أخرى من السكك الحديدية ، هي الأخرى متمسكة بالناطحات ، تشقها قطارات شبه أسطوانية طويلة ،

تسير على أقطاب فردية ضمن وسائل النقل العامة ، وتنطلق بسرعة كبيرة مذهلة.

كانت المدينة تعج بوسائل النقل العامة والخاصة معا ، والشوارع مكتظة بالسيارات وبعض الحافلات والشاحنات.

منظر حضاري رائع وجذاب يعبر عن مدى إبداع الذين بنوا هذه المدينة.

أخذ يتأمل في بنيان شاهق بالقرب منهم ما زال قيد العمران ، أجهزة ضخمة شاهقة مزودة بأيادي مرنة تعمل على بنايتها.

(سامي) كان صباحياً يتأمل ويستمتع بهذه المناظر جميعاً ، ويقدرها ، ويشعر بحبه وإمتنانه تجاه هذه المدينة الجميلة الآمنة المتآلفة بين قلوب سكانها.

وأخذ يحاول نسيان كوابيسه البغيضة المتكررة...

لا يريد حتى أن يتذكر ذلك المنظر المخيف الذي رآه في كابوسه ، وأخذ يحدث نفسه:

-لا يمكن ، هذا مجرد كابوس... ، أنا لست حكم على البشرية ، نحن بخير...

أخذت الحافلة المدرسية في حينها تشق طريقها من فوق جسر بإرتفاع شاهق طويل وعريض تقطعها العربات ذهابا و إياباً ، والذي كان مبني فوق شوارع سفلية.

والمميز أن تلك الشوارع السفلية كانت أيضاً جسوراً أخرى تشق من فوق إحدى أنهار المدينة.

بدأ (سامي) يشعر بحنق و انزعاج شديد من شدة الضوضاء بداخل الحافلة ، طلاب وطالبات اللاتي يرتدين تنانير قصيرة جزءاً من زيهم الرسمي ، يتبادلون الحوار الجماعي بطريقة جهرية مزعجة.

obeikandl.com

في أثناء بلغت الحافلة الجهة الأخرى من الجسر وغادرت متنها ، وبدأت تهبط مع الشارع للأسفل حتى بلغت مع الشارع إلى سطح الأرض ، بطريقة حادة أشعرت (سامي) كأنه أوشك تقيئ أمعائه.

مرت الحافلة بجوار تمثال ضخم معدني ضخم لرجل ما مبني فوق مكعب صخري كبير ، والرجل التمثالي يلوح للهواء بكف يده مبسوطة.

شعر (سامي) بشعور الرهبة بمجرد مرورهم بجوار هذا التمثال ، تكلم في عقله:

-يا إلهي.. هذا تمثال الإمبراطور (آيكام) ، كل يوم نفس الرعب نشعر به ، لمجرد مرورنا بجواره

لكن ما أثار تعجبه هو أن تلاميذ الحافلة تعودوا على ذلك وظلوا منشغلين بأحاديثهم.

بعد مرور فترة من السير: توقفت الحافلة عند تقاطع إشارة مرورية كانت محمرة ، وهناك على الرصيف صورة ضخمة لنفس ذلك الشخص...

صورة إمبراطور الرعب... رجل يربي لحية خفيفة ، طويل الشعر ، مصبوغ بالسواد ، يرتدي زيا عسكرياً ، وغطاء أحمر خلفه ، يؤشر لشعبه بكف يده مبتسماً إبتسامته الماكرة...

ومما يزيد الطين بلة هو وجود كامرتين مراقبتين معلقتين على عمود الإضاءة على رصيف مجاور ، تبث مزيداً من الرهبة والخوف بين المواطنين.

إلا أن طلبة الحافلة ما زالوا غارقين في أحاديثهم المسلية دون أي مبالاة أو توقف.

obeikandl.com

بينما إنشغل (سامي) في التأمل بالصورة الحديثة الضخمة للإمبراطور لا يبدو فيها كأنه يهرم بسرعة ، رغم أنه بلغ نهاية السبعينات من عمره ، فلا عجباً من كثافة العناية والرعاية الطبية التي يتلقاها...

أراد (سامي) تناسي إكتئابه مع إكمال الحافلة سيرها ، فقال يحدث صديقه (هانري) مقاطعا صمتهما العميق:

-شيئ جيد أن أختي لا تذهب معي لنفس المدرسة ، إنها تذهب على قدميها إلى مدرسة الحي وتدرس علوم الآداب والثقافة كما تعلم ، كم أتنفس الصعداء في غيابها...

رد عليه (هانري) مستغرباً:

-ألهذه الدرجة تكره أختك؟

مط (سامي) شفتيه ، فرد عليه:

-ليس لدرجة إني أريد قتلها ، لكنها مزعجة ومتغطرسة ، أشعر أني أرتاح في ظل غيابها...

ضحك (هانري) ضحكة مجاملة ، ثم قال يتحدث في محاولة لحرف الموضوع عن مساره:

-وأنا وإياك ، نقلونا إلى نفس تلك المدرسة الجميلة البعيدة بداية العام الدراسي الماضي

أومئ (سامي) برأسه ببراءة فقال بصوت هادئ:

-ذلك القرار وحد والدينا على موقف واحد ، ودافعهما لذلك هي سمعة المدرسة الممتازة ، وأهمية ذلك على درجاتنا ومستقبلنا

إبتسم (هانري) يقول مؤشرا بسبابته:

obeikandl.com

-هذا هو الموقف الوحيد الذي وحد كلا أبوينا على موقف واحد ، موقف تاريخي بإمتياز!...

وبعد صمت لثواني تبسم (هانري) إبتسامة خبيثة فقال:

-(سامي) ، هل مستعد يوم الإثنين القادم لموجة الشغب الجديدة؟

شعر (سامي) بإستغراب ، وعقد حاجبيه يسأل:

-موجة الشغب؟

أظهر (هانري) إنزعاجا يهتف بإستطراد:

-موجة الشغب التي إتفقنا عليها سابقاً! ، أتذكر؟ ، للترويح عن النفس ، تغيير الأجواء ، إثارة بعض الضحك

تبسم (سامي) يشاركه نفس مشاعر المتعة من هذا الحوار ، والنية الخبيثة التي يكنها ، فأومئ برأسه وقال:

-آهاا ، حسناً... ، إتفقنا! ، يوم الإثنين أول أيام الأسبوع موعدنا

تصافح كلا الإثنان يظهران إبتسامة خبيثة ماكرة...

***

(مدرسة كيانا ترحب بكم... إبتدائي – متوسط – ثانوي...العلوم الطبيعية – علوم الآداب والثقافات)

هذه هي الجملة المكتوبة بخط عريض على اللوحة الكبيرة المعلقة فوق مدخل المدرسة الخاص بالمرحلة الثانوية.

حيث تعبرها السيارات والحافلات المزدحمة متجهة لإنزال الركاب ، أو لكي تركن في مواقف معدنية خلف أسوار المدرسة.

obeikandi.com

وبجوار المدخل غرفة حارس الأمن الخشبية الصغيرة مزودة بنافذة واسعة ، والحارس بزيه الأزرق الرسمي واقف أمامها يتثائب من فرط النعاس.

خلف أسوار المدرسة وفي قسم المرحلة الثانوية هناك المئات من طلاب وطالبات المرحلة ومن مختلف الألوان والأعراق.

كانوا يجولون بداخل باحة المدرسة الجميلة الشاسعة المزودة بالأشجار والحشيش والزهور ، التي تشق بينها الطرق الرصيفية المحاطة بالمقاعد الخشبية الطويلة.

وهناك البنيان الواسع والممتد لتلك المدرسة نفسها ، التي تحمل في أعلاها صورة مستطيلية ضخمة للإمبراطور (آيكام).

يوجد فوق سطح البنيان رايتان ترفرفين...

راية الإمبراطورية البنفسجية مخلوطة مع الحمار والسواد.

تحمل شعار الإفتخار بوحدة البشرية...

وراية المدرسة البريئة الخاصة بها مزودة بألوان متعددة ودائرة بيضاء في وسطها.

هناك وبين أشجار باحة المدرسة كان (سامي) يسير برفقة (هانري) فوق إحدى الطرق الرصيفية يحملان حقيبتيهما المدرسية خلف ظهريهما.

كان (هانري) يشعر بشفقة على جاره وصديقه (سامي) الذي عجز عن إخفاء همه ، ولما تأكد أنه لا أحد قريب منهما قال له بخفوت شديد:

-(سامي).. ، لا تسمح لكوابيسك ووسوسة أبي تثير إكتئابك ، أنظر للدنيا حولك ، الحياة جميلة وسعيدة ، آمنة ومستقرة ومتآلفة... ، الحكومة قوية جداً يا (سامي) ، سوف يحموننا حتماً من أي مكروه...

تمتم عبارته وهو يهز كتف (سامي) بشدة ، ولما إنتبه أن ملامح (سامي) لم تتغير أضاف عليه بنفس الخفوت وهو يشير بيده الأيمن باسط كفه:

-هذه الإضطرابات المحدودة التي أصابت الإمبراطورية أشبه بما يكون صداع مؤقت أصاب شاب ممتلئ بالصحة والعافية... ، فلا تقلق!...

إلا أن (سامي) لم يتفاعل معه سوى بالصمت ، وكاد (هانري) أن يفقد الأمل ، لولا أن ظهر شيئ ما غير رأيه.

أشار فجأة للأمام يقول بمراحة مفاجئة:

-أنظر لهنااك ، (جاين) قاااادمة

هنا أخيراً إستطاع أن يلفت نظر (سامي) ويقلب ملامح وجهه ، الذي إتسعت عيناه بذهول...

يشاهد تلك الفتاة التي كانت نحيلة متوسطة الطول ، شعرها بني ناعم طويل ، وبشرتها تميل قليلاً للسمار ، ورموشها طويلة وتضع الكحول.

كانت تحمل كتبا وتضمها إلى حضنها ، تبتسم طوال الوقت ، و(سامي) يحدق فيها بأشد معاني الذهول.

إلا أن (هانري) أخذ ينظر إليها تلك النظرة الدافئة الإطمئنانية ، لأنها ليست تلك الفتاة التي يحبها.

فلما إقتربت الفتاة (جاين) من (سامي) و(هانري) إبتسمت في وجهيهما تبدي أضراسها فقالت:

-صباح الخير

رد عليها (هانري) مبتسماً وبثقة:

-صباح الخير (جاين)...

لكن (سامي) لم يستطع حتى أن يحرك لسانه من شدة إرتباكه.

وبعدما إنصرفت الفتاة خلف ظهريهما نزل ذلك كالثلج على صدر (سامي) الذي إتسعت عيناه على الآخر.

وتوقف في مكانه بعدما شعر نفسه كأنه يطير في السماء من فرط السعادة ، و(هانري) يشاركه في الفرحة بطريقة مختلفة.

على الأقل إستطاع أن يذهب الإكتئاب عن وجه صديقه!

فجأة إنطلقت تلك الأحرف من فم (سامي) لا إرادياً:

-يا إلهي... كلما رأيتها مجدداً تصبح أجمل من ذي قبل!

رب صديقه (هانري) بيده على كتفه بشدة يقول له بلهجة فخورة ممتلئة بالطاقة:

-أرأيت؟ ، أخبرتك أن الحياة جميلة!

ثم إستطرد في حدة حماسية:

-وستظل كذلك دائماً!...

إستئنف الإثنان سيرهما و(سامي) يرد عليه مظهراً ذهوله:

-نعم يا (هانري) ، طالما هي وأمثالها موجودين ، لا أستطيع أن أختلف معك...

فجأة بدأت مكبرات الصوت المدرسية تبث صوت الموسيقى الأكاديمية الكلاسيكية تخبر الطلاب ببدأ الدوام رسمياً.

إنتهى بث الموسيقى ، تلا ذلك إنطلاق رنين الأجراس.

openkandil.com

وبدأ المعلمون والمراقبون يجمعون الطلاب والطالبات فوق ساحة حشيشية واسعة ، و(سامي) و(هانري) يقفان في صفين منفصلين.

كل فصل في المدرسة يقف أفرادها في صف مستقل...

جاء مدرس التربية البدنية البدين والضخم الذي ظهر في شعره البياض ، يلبس على عنقه سلسلة تمسك بالصفارة ، بدأ يأمر الجميع ببدأ التمارين الرياضية الأساسية للأقدام والأيدي والأكتاف...

لم يكن (سامي) يطيق الطابور الصباحي...

ولم يكن يتمرن بأي نشاط وهمة ، كذلك الأمر مع معظم الطلاب والطالبات ، فغضب المدرب ينادي بمكبر الصوت:

-لو تصرون على خمولكم ، سوف أجبركم على تمارين الضغط! ، وسنظل على هذا الوضع لنهاااااية الدواااام! ، أنا ليس لدي مشكلة في ذلك!...

لم يؤثر ذلك كثيراً على أداء الطلاب والطالبات ، بينما غمغم (سامي) يقول بصوت منخفض في غيظ:

-أصمت ، خذ راتبك ودعنا في شأننا...

في حين وضع المدرب يده على جبهته يحرك رأسه بتأسف وكأنه يتحسر على ضعف أداء هذا الجيل الناشئ...

بعد إنتظار ممل دام كالدهر جاء وقت غناء القصيدة الوطنية بلغة الدولة الرسمية الموحدة...

على عكس التمارين الرياضية ، معظمهم كانوا منتصبين كالأعمدة يغنون بدافع الرعب من هذا النظام الإستبدادي ، خاصة أنهم يواجهون

obeikandl.com

أمامهم صورة الإمبراطور الكبيرة المعلقة على بنيان المدرسة ، مما يبث شعور الرهبة في نفوسهم.

وبلغوا إلى جملة من القصيدة ينشدون:

-إمبراطورنا...إمبراطورنا القائد المجيد..... حامينا موحدنا الحكيم الرشيد...

كان (سامي) يقولها بخمول شديد وبالكاد يحرك شفتيه ليجامل المعلمين فقط...

بعد فترة من إنتهاء الطابور الصباحي:

(سامي) و(هانري) يسيران وسط الطلاب والطالبات بداخل ممرات المدرسة المزودة بالأبواب والبلاط المزين باللون الأزرق والأسود ، وألواح معلقة بالجدران فيها جداول وأوقات لبرامج نشاطية إضافية ولوحات تحمل رسومات فنية.

كانت تعبر عن تدفق مياه الحياة والنشاط بهذه المدرسة الحكومية الراقية...

يمرون على ساحات ملاعب كرة القدم والتنس والطائرة والسلة ، ثم يمرون على حمام مسبح واسع وفسيح.

وأثناء سيرهم بين الممرات ، كان (سامي) ما زال في عالمه الخيالي الرومانسي سريح البال يفكر بتلك الفتاة (جاين) مجدداً.

و(هانري) يمسك إحدى كتبه يتصفحه بتوتر ، فقال بقلق شديد:

-يا إلهي مدرس الرياضيات سيقتلني ، لم أحل واجبي أمس!

كانا يسيران بجوار سلسلة من الدواليب الخاصة بكل طالب ، يضع كل منهم في دولابه أغراضه الشخصية كالزي والحذاء الرياضيين وسروال السباحة وما نحو ذلك...

فجأة إعترض الطريق على (سامي) و(هانري) طالب آخر ، من دون سبق إنذار ضرب بكوع يده كتاب الرياضيات (لهانري) فأطاح به عمداً...

توقف (سامي) و(هانري) فجأة على نبرة تلك الضحكة الشيطانية الساخرة ، وهتف (سامي) الذي إستيقظ مفزوعاً من أحلامه الجميلة:

-هيي!

وكان يواجههم ثلاثة طلاب طوال القامة ، والذي أسقط كتاب (هانري) هو الذي في الوسط ، أبيض البشرة وأشقر الشعر ، وضخم الجثة ، شديد القوة ، ووسيم.

رفيقه الآخر أسود البشرة وطويل إسمه (جوردن) كان طويل وقوي ، والثالث كان أيضاً طويلا ، ملامحه شرق أسيوية إسمه (ميزوكي).

قال (هانري) وهو يحاول الهبوط لإستلام كتابه في قلق يحدث زعيم المتنمرين:

-دعنا وشأننا (جايك)...

لما أراد إستلام كتابه تفاجئ أن (جايك) الأشقر الذي أسقط الكتاب سبق يد (هانري) بقدمه قد وطأ على الكتاب ، ومرغه بالطين القذر ، وانفجر كلا رفيقي (جايك) بالضحك الإستهتاري...

كشر (سامي) أسنانه في غيظ وغضب وتوتر ، وانتشرت في عروقه الأندرلينا وكأنه يوشك الدخول في معركة غير متكافئة ، و(هانري) يقول بإلحاح غاضب:

-دعنا وشأننا (جايك)!

فجأة زاد (جايك) من وطأة وزنه الثقيل على الكتاب ثم قال بإستخفاف:

-تريد كتابك يا مستر (آينشتاين)؟... ، خذها!

دفع بقدمه الكتاب ليزحف بعيداً ، وهو ينضم لرفيقيه في الضحك الإستهتاري...

ثم بدئوا يسيرون على الجهة المعاكسة يزيحون بأكتافهم الضخمة جسدي (سامي) و(هانري) جنباً ، وهم مستمرين في ضحكهم الصاخب الذي شاركهم فيها أيضاً بعض الطلاب والطالبات المحاطين بهم.

وكل من (سامي) و(هانري) يشتعلان غضبا وقهرا من أذى ذلك المتنمر المتكبر البغيض.

ليتهما كانا بحجمهم ليواجهاهم.

لقد كانا طوال هاذين العامين الدراسيين يعانيان من آذاهم وتنمرهم عليهما ، خاصة زعيمهم (جايك)...

تباً له!...

-ليتني أهاجمه وأحطم أسنانه ، وأصبح بطل المدرسة ، وأنال إعجاب (جاين)!

هذه الجمل التي كانت تتردد في عقل (سامي) الذي كان الأندريل ما زال يجري في عروقه.

لكن الرياح للأسف لا تسير كما تشتهي السفن.

إستلم (هانري) كتابه الذي كاد يتمزق والمغطى بالطين في تقزز شديد يقول مزمجراً في قهر شديد:

-تباً لهذا المتكبر!

غمغم (سامي) في غيظ متصاعد وهو يقبض يده التي ترتجف:

-مع وجود (جايك) حولنا، أحيانا أستمتع بتذكر كوابيسي وأتخيله يموت فيها

بعد مرور ساعات طويلة كان (سامي) قد تناسى هموم أذى ذلك المتنمر ، وهو في فصل مختلف عنه لحسن الحظ ، لسوء حظ (هانري) أنه في نفس فصل (جايك).

كان (سامي) في منتصف حصة إسمها: (السياسة والإقتصاد).

وهي أبغض الحصص في نظر (سامي) بعد الرياضيات ، كانت مملة وكئيبة للغاية ، ولا يدري لماذا يضعونها في حصص قسم العلوم الطبيعية التي ينتمون إليها.

من وجهة نظره هدف المادة فقط تمجيد الإمبراطور والنظام الحاكم.

كان (سامي) يجلس يعبث بالأوراق بيديه أثناء الشرح ، مظهراً نعاسه وملله من وجهه ، يبني ويصنع أشكالاً من أوراق يفصلها عن دفتره.

كان المدرس داكن البشرة يرتدي نظارات طبية سميكة ، ويرتدي ثوباً رسمياً أنيقاً موحداً لجميع مدرسي المدرسة ، بإستثناء مدرسي البدنية.

ولكن في ظل هذه الحصة الكئيبة حتى هذا المدرس نفسه لا يبالي من ينتبه له أم لا ، وكان يشرح بطريقة آلية يشبك يديه خلف ظهره ، ويجول معاً بين موائد طلاب الفصل ، والتي كانت مقسمة ، صف للأولاد وصف للفتيات.

وأخذ المدرس يواصل شرحه بلهجته الباردة مظهراً في ملامحه تقززه من مادته التي يشرحها:

-وكما تعلموا نظام الدولة يضمن الراحة الكاملة للمواطن في جميع أمور حياته ، فإنه مقابل أن يعمل بجد ونشاط من أجل أن يساهم في بناء

وطنه ، فإن الدولة تضمن له العيش الكريم ، وتوفر له أرض ومنزل بأسعار رمزية ، والكهرباء والمياه والهاتف والإنترنت كله مجاناً ، ووسائل النقل العامة بداخل المدن أيضاً مجانية...

شعر (سامي) برغبته في العطس:

-هاء... هاء... هاااااء!!!....

تباً! ، لم تخرج العطسة بعد!...

والمدرس يواصل شرحه ببطئ:

-وكذلك توفر الدولة لجميع مواطنيها التعليم والصحة مجاناً...، فهذه المدرسة مثلاً بروعتها وجمالها كما ترون ، هي مدرسة حكومية مجانية ، وكذلك جميع خدماتها ودوراتها وبرامجها النشاطية الإضافية مجانية ، بل حتى مواصلات الحافلات مجانية... ، حياتنا في ظل هذا النظام رغد وسعادة لا تووووصففففف...

(سامي) سريح البال في أثنائها يحاول بقطعة ورقة ملفوفة العبث بشعر أنفه لإجبار نفسه على العطس دون جدوى...

والمدرس يواصل حديثه وكأنه رجل آلي:

-فكما تعلمون ، أن هذه الدولة نظامها المالي إشتراكي بأسلوب فريد في التاريخ وناجح بنفس الوقت ، فهناك لدينا القطاعات الإقتصادية الحكومية المدعومة من الحكومة ، التي تديرها مباشرتاً ، وهناك القطاعات الإقتصادية والشركات والمؤسسات الخاصة تحظى بإستقلالية إدارية ، لكنها أيضاً مدعومة من الحكومة

أخذ (سامي) يلف ورقة طويلة في محاولة يائسة أخرى لإستفزاز أنفه وإجباره على العطس في محاولة يائسة أخيرة!.

obeikandl.com

في نفس الأثناء المدرس يواصل شرحه وكأنه يقرأ تقرير إخباري قائلاً:

-وتخصص الدولة من دخل جميع أفراد الشعب وكذلك أصحاب الشركات الخاصة نسبة كبيرة من الضرائب ، تستخرجها منهم في توزيع الخدمات المجانية المريحة للشعب الإياسي ، ودعم قطاعات إقتصادية أخرى تعمل أو ما زالت طور الإنشاء ، وكذلك دعم الشرطة وجيش وطني قوي يحمي وحدة البلاد...

-آآآآآععتشوووووووه!

أخيراً خرجت العطسة من فم (سامي)! ، وتقلبت بسببها صفحات تفتره.

مع تطاير الأشكال الورقية التي صنعها وانتشرت على الأرض ، مما أثار بعض الضحك الخفيف.

توقف المدرس عن شرحه مصدوماً وأخذ يلتفت مع جميع طلاب الفصل إلى (سامي) الذي نظر بدهشة بريئة حوله يميناً وشمالاً ، وكأنه يسألهم ما هي الجريمة التي فعلها؟؟...

بالعكس لقد رأى نفسه أنه قام بالترويح عن الفصل بعض الشيئ.

لكن المدرس رفع إحدى حاجبيه ينظر بتعجب إلى الأشكال الورقية المتناثرة على البلاط ، ثم رفع نظارته يرمق (سامي) نظرة تعجب فقال بلهجة ناقدة:

-أتمنى أن تستأذن مني قبل العطس المرة القادمة يا مستر (ساااميييي)... ، أنت تشتت إنتباه الآخرين...

لم يتمكن (سامي) الإستنتاج ما إذا كان المدرس جاداً في جملته الأخيرة أم إنها دعابة ، لكن المدرس أكمل يتحدث بلهجته الآلية ويتجول كأنه بطريق:

-المهم... ، كما ترون... كل هذه الناطحات الضخمة للسحب التي نراها في مدينتنا الجميلة ، هي عبارة عن شركات تجارية حكومية وخاصة معاً ، نشأت جميعاً بفضل نظامنا المالي الإشتراكي العبقري الذي تعمل به حكومتنا العظيمة ، التي تريد الحياة الكريمة لجميع مواطنيها بلاااا إستثناااااء...

تمتم عبارته يطول حروف الألف في جملته ، في محاولة كأنها إستخفافية لإظهار ولائه وإخلاصه لهذه الدولة ، وأضاف يسأل يرفع حاجبيه:

-أي سؤاااال؟

أجابه (سامي) الذي إحمر أنفه نتيجة دعكها المتواصل يقول:

-سيدي... ، هل أنا لدي حساسية من هذه المادة؟؟...

إنتشر في الفصل أصوات مختلطة ما بين شهقة وأصوات ضحك مكتومة ، فابتسم المدرس إبتسامة مريرة يقول بهدوء:

-أعتقد أن الجواب لدى طبيب المدرسة وليس أنا يا بني...

بعد مرور ساعات طويلة من الدوام حتى بلغ نهايته...

تم إطلاق رنين الأجراس ، ثم تبعها دوي مكبرات الصوت تخرج أصواتها الموسيقية الأكاديمية تخبر الجميع بإنتهاء وقت الدوام...

وها هو (سامي) و(هانري) يجولان بين مئات الطلاب في طريقهما للحافلة في الباحة الفسيحة ، يحملان حقيبتيهما المدرسية ، و(سامي) يهتف في غضب مصطنع:

-دواااام طوييييل! ، آخخخ أفخاذي تدعكني من طوال الجلوس!

إبتسم (هانري) يقول مغمغماً في تذمر:

-على الأقل أنت محظوظ أن المتخلف (جايك) وجنرياه ليسوا في صفك ، طوال اليوم وهم يرمون علي أوراق ومناديل ، تباً لهم...

قال (سامي) في خفوت مبديا إبتسامة خبث:

-هي (هانري) ، لا تنسى ، يوم الإثنين القادم هو يوم موجة الشغب ، دعنا نغير بعض الأجواء ونستمتع بعض الشيئ...

شاركه (هانري) في إبتسامته يقول:

-لا تنسى إحضار المواد لذلك اليوم...

تبسم (سامي) بخبث يقول معبراً عن نار الحماسة المشتعلة في قلبه:

-إتفقنا...

***

obeikandl.com

4-موجة الشغب

(سامي) و(هانري) ينزلان من الحافلة ، كل منهما إتجه لمنزله في وقت العصر.

إكتفى (سامي) بوضع إبهامه يده على مربع ملتصق ببوابة منزله ، فتتعرف على بصماته وتفتح الباب آلياً ليدلف إلى داخل الباحة الصغيرة للمنزل...

دخل (سامي) إلى صالون بيته يطلق تنهيدة تعبر عن راحته من إنتهاء الدوام ، يشاهد كعادته أخاه (كالفن) مندمج مع لعبته الهلوجرافية الإلكترونية بشدة.

فجأة يعترض عليه الصوت الأنثوي يهتف:

-(سامي)! ، هل علي أنا ترتيب وتنظيف البيت كل يوم؟

هنا إلتفت ووجد أخته (ريتشل) تقف بإنتظاره تحمل مكنسة بيدها الأيمن وتضع يدها الأيسر على حوضها ، وما زالت ترتدي زيها المدرسي الموحد لجميع مدارس الإمبراطورية.

شعر (سامي) بالإنزعاج الشديد ، فقال وكأنه يترجاها بالرحمة:

-(ريتشل) رجاءا أنا نعسان... ، دعني أتولى التنظيف بعد قسط من الراحة

أشارت إليه (ريتشل) تقول بلهجة صارمة وناقدة:

-أوه ، بمعنى توقظنا من نومنا وسط الليل بصوت الكنّاسة؟ ، أنا أعلمك جيداً تنام بعد المدرسة إلى منتصف الليل

بدأ (سامي) ينزع حذائيه وشرابيه ويرد عليها مغمغماً:

-نعم ، بالتحديد عندما أستيقظ من كابوس نهاية العالم ، لذلك أصمتي وحسب... أنا أعي ما أخطط له

أشارت له (ريتشل) بسبابتها تقول وتنصرف معآ:

-لو جاء غدا ولم تنظف البيت ، أنت من ستنظف قذارة كلا اليومين...

ثم إنصرفت تجاه المطبخ ، وصمت (سامي) لثواني يتأمل في البريق المتلون الذي يشرق على نظارات (كالفن) المنهمك في لعبته.

وقد لاحظ أن النفايات الموجودة منذ الصباح ما زالت محاطة به ، مما أثار إنزعاجه.

هذا هو الجزء المقزز من عمل تنظيف المنزل!.

فأطلق (سامي) تنهيدة وانطلق يصعد الدرج ، ولما وصل للطابق الأول إعترضت عليه أمه خرجت من حجرة نومها تقول مرحبتآ وتظهر إبتسامتها:

-مرحباً يا (سامي) ، كيف كان يومك؟

غمغم (سامي) بلهجة تعبر عن عدم رغبته في الحديث:

-طويل وممل كعادته

ثم أدار لها ظهره متجها لحجرة نومه لكن أمه ردت عليه بثقة:

-هذا ما يحدث عندما لا تركز مع شرح المدرسين

رد عليها (سامي) يغمغم بلهجة مضطجرة:

-نعم يا أمي ، هذا الشيئ لا يخفى علي...

openkandil.com

ثم دخل حجرته وأغلق الباب خلفه ، لكنه سمع أمه تقول وراء الباب بلهجتها المرحة:

-لا تعمق كثيراً في النوم يا بني ، فأنا أطهي لكم الغداء ، من ضمنها المعكرونة بالجبن التي تحبها...

تبسم (سامي) لا إراديا وهو يتكئ بظهره على الباب ، وشعر بسعادة هبطت على صدره بسبب إثارتها لشهية جوعه ، فقال:

-شكراً يا أمي ، أنتي رائعة...

ثم رمى نفسه على سريره ، لكي يغوص في نوم عميق...

أخذ (سامي) منامه يحلم عن (جاين)...

تلك الأحلام الرومانسية الساحرة ، التي تدغدغ مشاعر كل شاب يراها ، وتبعث فيه شعور بالدفئ والسعادة ، وتشعل جمرة داخل بطنه...

كان في حلمه متيقن علم اليقين أن هذا هو ما يحدث له حقاً...

لكن طرقة باب الغرفة أيقظته على صراخ أمه تقول:

-ولدي! ، لي عام كامل وأدق عليك الباب! ، حان وقت الغداء!

نزل (سامي) إلى المطبخ ، وهو في عالم آخر...

يا إلهي ما أجمل هذه الأحلام الرومانسية ، إنه لم يستيقظ من سباته بالكامل...

أخذوا يأكلون الغداء من شربة ومعكرونة بحضور جميع أفراد الأسرة حول تلك المائدة الزجاجية الدائرية المتواجدة في الصالون ، والأم تقول معاتبة بصرامة:

obeikandl.com

-لا تظنوا بغياب أبوكم أنه بوسعكم تفادي الغداء الرسمي ، وتأتون في الليل تسرقون من الثلاجة ، هذا الغداء رمز مهم لتماسك هذه العائلة الأزلي ، هل أنا واضح؟

غمغمت (ريتشل) وفمها مليئ بالطعام ترمق (سامي) بنظرة ساخرة:

-ليست أنا التي أنام بعد المدرسة كل يوم...

رد عليها (سامي) في غيظ مكتوم:

-واو (ريتشل) ، أشعرتيني أنكي ملاك هذه الأسرة...

هتفت الأم في عصبية:

-(كالفن)! ، لا تقضي على المعكرونة! ، أنا لم آخذ نصيبي بعد!...

-لكني جائع يا أمي

ردت عليه الأم بنفس النبرة:

-آخر وجبة أكلتها قبل ساعتين فقط!

تبسم (سامي) يضحك ، يبدي نظراته الدافئة تجاه أسرته العزيزة...

***

مرت عدة أيام متتالية وجاء يوم الإثنين.

ساعات طويلة تمر منذ بدأ الدوام المدرسي...

مئات الطلاب والطالبات المرحلة الثانوية منتشرين في قاعة الغداء في وسط الدوام يأكلون غدائهم الذي توزع عليهم المدرسة مجاناً.

يجلسون في مجموعات صغيرة حول موائد طويلة منتشرة ، يتجاذبون الحديث ، ويتبادلون الضحك.

obeikandi.com

كعادة هؤلاء الحياة والطاقة والطموحات تملئ قلوبهم.

هناك في الحجرة موظف خلف مائدة عريضة محاطة بالزجاجات التي يوجد خلفها مختلف أنواع الأطعمة ، كان يوزع الأطعمة التي يطلبها منه الطلاب والطالبات في ملل بالغ.

(سامي) و(هانري) يسيران في تلك القاعة بخطوات واسعة ، و(هانري) يقول من وراء صديقه:

-هاي! ، نحن لم نكمل حتى غدائنا!

إلتفت (سامي) للوراء ورد على (هانري) بصوت خافت:

-هذا هو المقصد ، نقوم بذلك الشغب عندما يكون الجميع منشغل بغدائه!

وبينما كان (سامي) ملتفت (لهانري): فجأة إنصدم بالخطأ على شخص آخر كان يحمل صينية الطعام...

وسقطت الصينية على الأرض فتحطم زجاج الصحن ، مع تلطش الطعام على ثياب كل من (سامي) وذلك الشخص الذي كان فتاة...

كانت فتاة شقراء الشعر ناعم يبلغ كتفيها ، بيضاء البشرة زرقاء العيون ، وحسناء المنظر ، بنفس طول (سامي) تقريباً ، ونحيلة الجسد...

لكنها في ذلك المنظر والطعام الملطخ بها والصدمة التي أصابتها جراء ذلك ، كأنها عروسة تم إفساد عرسها.

كانت تبعد يديها عن بعض وتنظر إلى ملابسها الملطخ ، وتظهر في وجهها تقزز و إنزعاج شديد ، خاصة أن هناك بعض المتفرجين أثيروا بالضحك جراء المنظر.

و(سامي) شعر كأنها نهاية حياته من شدة الحرج ، هتفت به الفتاة في غضب بالغ:

-إنتبه لطريقك أيها الأحمق الغبي!... ، همجي!...

رد عليها (سامي) في ذعر وبراءة:

-أنا آسف جداً (أماندا)! ، الخطأ كله علي

من دون أي كلمة أخرى أطلقت الفتاة (أماندا) زمجرة حادة غاضبة منصرفة بخطوات واسعة تجاه دورة المياه...

وهنا كانت لحظة صمت بين (سامي) و(هانري) وهما يحدقان في بعض بذهول ، وحاول (هانري) يكتم ضحكه بشدة ، لكن (سامي) قال بغضب مصطنع في إنتقاد:

-هذا ليس مضحك!

قال (هانري) بلهجة ضاحكة:

-لا ليس أنت الذي أضحك عليه ، بل هي! ، كم كنت أتمنى أرى هذا المنظر فيها

سأله (سامي) بلهجة إستنكارية إصطناعية:

-هل تتشمت لأجل أنها لا تواعد شخص مثلك؟ ، أنت تعلم أنها قائدة فريق التشجيع لمنتخب المدرسة ، ووالدها هو مدير بلدية إحدى أحياء المدينة

ثم أضاف يغمغم في تقزز:

obeikandl.com

-نحن لا نرقى لمستواها ، ولا للطبقى الإجتماعية التي فيها ، بالتأكيد ستجدها لا تواعد إلا من على مستواها...، وهو قائد منتخب المدرسة لكرة القدم (توني هيم)...

حرك (هانري) رأسه يرد عليه ويعترف بمشاعره:

-هي مغرورة ومتعجرفة ، هذا كله ما في الأمر

أطلق (سامي) تنهيدة يقول بصوت من أنفه:

-معك حق ، أنا لا أطيقها أيضاً ، إنها تذكرني بأختي نوعاً ، لا بل حتى أسوء بكثير... ، أختي على الأقل ليست متكبرة بهذا الشكل...

فجأة مر بجوارهم المتنمر (جايك) يشير على (سامي) بسبابتيه ويطلق قهقهة إستهتارية عالية ثم يقول ساخراً:

-يعجبني منظرك هكذا ، خاصة عندما تصفك (أماندا) بالهمجي الأحمق ، ها ها ها!...

إنصرف يطلق قهقهته ويبتعد ، هنا شعر (سامي) بغليان شديد تجاه هذا المتنمر وكشر أسنانه يطلق زمجرة مكتومة ، لكنه ما زال لا يتجرئ الرد عليه ، فقال (هانري) يحاول تهدئته:

-هون عليك ، على الأقل هو ليس في فصلك

ثم قال في مزيد من محاولة التهدئة:

-هيا بنا لموجة الشغب ، حان موعدها!

تحرك (سامي) دون قول كلمة أخرى وتبعه (هانري)...

***

بعد مرور ساعتين ، وبالتحديد بعد إنجاز موجة الشغب:

(سامي) و(هانري) جالسان في غرفة الإنتظار بجوار مكتب مدير المدرسة التي توجد فيها صورة للإمبراطور (آيكام) معلقة على الجدار.

فجأة إنفتح الباب بعنف ، وانصدم (سامي).

أمه دخلت حجرة الجلوس من الخارج ، متجهة لحجرة المدير المقابلة.

والغضب يظهر في وجهها بوضوح.

قال (سامي) مذعوراً:

-أمي!

لكن أمه جحدته تقتحم حجرة المدير بخطوات واسعة...

تبادل (سامي) و(هانري) النظرات القلقة.

وأغلقت أمه الباب باب الحجرة تجتمع بالمدير والمستشار الطلابي...

بعد مرور دقائق من النقاشات التي بالكاد إستطاع (سامي) سماع تفاصيلها من وراء الباب:

كان (سامي) ينظر إلى الأرض يشعر بتوتر وقلق شديد ، لقد كان يدرك أن أمه تحبه ، ولكن عند لحظات غضبها الحقيقي ، يصبح الأمر مخيف أكثر من أي فلم رعب شاهده في حياته...

نطق (هانري) يقول بصوت منخفض في محاولة للتخفيف عنه:

-على الأقل أنت محظوظ أن ولي أمرك يهتم بك ، أنظر لوالدي ، لم يزعج نفسه حتى بالرد على مكالمات المدرسة

قال (سامي) وهو يكشر ملامحه ويعبر عن شعوره بالمرارة:

obeikandl.com

-بالعكس أنت هو المحظوظ ، والدك يقدر قراراتك ويعتبرك ناضج من الآن ، والداي ما زالا يعاملاني كطفل أحياناً.

عاودت أمه تفتح باب غرفة المدير بعنف وخرجت تبدي غضبها ، نظر إليها (سامي) بقلق ، وانفجرت تهتف وهي تشير لمخرج الحجرة:

-إلى السيارة (سامي)!...الآن!...

كانت تحمل بيدها الأيسر ورقة إذن بإنصراف الطالب ، والدوام قد شارف من نهايته على كل حال...

بعد مرور فترة من الزمن: هاهي سيارة أمه الحديثة متوقفة عند محطة شحن الكهرباء ، كان هناك قضيب يشحن السيارة بالطاقة وبجوارهم بقالة.

والأم تسحب بطاقتها الإلكترونية تدفع تكلفة الشحن من خلال النافذة ، ثم تنطلق السيارة تجول في شوارع المدينة بالقرب من الناطحات الضخمة في قلب المدينة.

سطح السيارة مقوس غير مضلعي ، وشفاف ، جزء منه مظلل بمظلة سوداء ساترة من الشمس ، والنصف الخلفي مزود بخلاية شمسية.

كما هو حال أغلب عربات هذا الزمان ، لكن الخلايا الشمسية أحياناً لا تكون كافية لوحدها لشحن الطاقة بالكامل.

كان (سامي) بداخل السيارة يجلس بجواره أمه التي تقود ، ووسط هذا الصمت الرهيب ، إنفجرت عليه أمه فجأة بإنفعال بالغ:

-لقد أحرجتني يا (سامي)!... ، أحرجتني! ، أمام المدرسة والمدير ، بل حتى أمام والدك ، جعلتني في مظهر الغير مؤهل للإهتمام بشؤون الأسرة في ظل غيابه ، هل أنت سعيد بذلك!؟

شعر (سامي) بهذه الكلمات كأنها سكاكين تخرق قلبه ، فبدأ يقول للرد عليها ، إلا أن أمه قاطعته بمزيد من الهيجان:

-ما الذي يجعلك و(هانري) تعتقدان أنه مضحك أن تحتضرا معكما للمدرسة ألعاب نارية وتفجرانها؟ ، أما تسمع عن العمليات الإرهابية الجارية هذه الأيام!؟ ، هل تريد أن تروج للإرهاب بأفعالك وتظهر تعاطفك لهم مثلاً؟ ، هل عجزت أن تجد وقتاً أفضل من هذه الظروف ، لإستفزاز إدارة المدرسة بهذا الشكل!؟...

ثم هتفت تصرخ به بإنفعال مذهل متزايد:

-لحسن حظك أنهم رحموك ، لا أدري ربما لأنك دون سن الثمانية عشر ، واكتفوا بإعطائك مخالفة مدرسية ، وإلا كان بوسعهم الإبلاغ عنك وسجنك ، وقد لا ترى الشمس لسنوات قادمة ، أنت تعلم جيداً أننا نعيش تحت ظل دولة بوليسية شرسة! ، فلما تتصرف كأنك طفل لا تدرك ذلك؟؟...

وواصلت تهتف به بصوت أخذ يضعف تدريجياً:

-ولدي.. ، أنا ظننتك رجل البيت.. ، وكنت فخورة بك لأنك لم تصبح مثل (كالفن) المسكين.. ، وهكذا تخيب ظني؟!

رد عليها (سامي):

-أمي...أنا آسف...

إنفجرت به أمه مجدداً:

-آسف؟ ، آسف لأنك أوشكت تدمر مستقبلك؟؟ ، لو زجوك في السجن ، هل ستكتفي بكلمة آسف وننتهي!؟ ، وما الذي سأفعله أنا حينها!!؟ ، ألطم وجهي لبقية حياتي!؟؟...

فجأة أوشكت أمه تصدم شاحنة بضائع كانت تغير مسارها من اليمين إلى الأوسط وهي قادمة من اليسار ، فسمعت صوت الزمير مما أنقذ حياتهم بأعجوبة ، تفادت أمه الحادث في آخر لحظة تسلك المسار الأوسط بطريقة حادة من أمام الشاحنة ، وشعرت بذعر بالغ ، ولما إستقر الوضع هتف (سامي) بذعر بالغ:

-أمي حاسبي!

ردت عليه أمه في غضب متواصل:

-أنت الذي حاسب على مستقبلك يا ولدي!

ثم أضافت أمه تقول في عتاب شديد:

-لماذا أصبحت درجاتك أيضاً متدنية؟ ، أخبرني المستشار الطلابي ، أن درجاتك أصبحت متدنية بشكل غير مسبوق هذا الترم ، ما هي مشكلتك يا (سامي)؟ ، لماذا تخاطر بمستقبلك؟ ، ألا تريد دخول الجامعة؟

أجابها (سامي) بصوت هادئ:

-بلا يا أمي ، أعدك إني سأتحسن وهو مجرد ظرف مؤقت

ردت عليه أمه ترفع صوتها:

-تتحسن؟ ، هذه آخر سنة لك يا (سامي)! ، هذه أكثر سنة عليك أن تأخذ أمورك بجدية!...، لأن مستقبلك يعتمد على أدائك فيها!

ثم حركت رأسها تقول مستغربة:

-لا أفهم لماذا أبناء هذا الجيل لا يقدرون أن الجامعات ومساكن الطلاب أصبحت كلها مجانية ، قبل أربعون سنة وقيام الإمبراطورية ، كانت أسعار كل هذه جنونية ، يجمع لها الآباء طوال أعمارهم لإدخال أبنائهم فيها...

obeikandl.com

كان (سامي) يشعر بجرح شديد أصاب قلبه ، وحزن ، وإحباط...وإكتئاب عميق...

وقالت أمه بصوت هادئ مصحوب مع شفقة:

-(سامي) ، لو تدنت درجاتك ، لن تستطيع تأجيل الخدمة الإجبارية في الجيش لما بعد الجامعة ، هل هذا حقاً ما تريده؟

شعر (سامي) بموجة إكتئاب ثقيلة ضربت قلبه ، فأجابها بصوت محبط:

-كلا يا أمي ، بالطبع لا

شدت أمه قبضة يدها الأيمن تقول بلهجة تحميسية:

-إذن شد حيلك يا ولدي ، لم يفت الأوان بعد...

شعر (سامي) بنار الهمة تشتعل في صدره فجأة.

في أثناء عم بينهما صمت طويل ، يمران بجوار ناطحة سحب في غاية الضخمة ، وتحمل في قمتها بنيان طبقي واسع جداً ، وأخذ (سامي) يتأمل فيها في محاولة للتنفيس عن همومه.

إلا أن إنتشار كامرات المراقبة على بعض أعمدة الإضاءة كانت تزعجه ، وتزيد الطين بلة عليه...

شقت أمه حاجز الصمت تقول بهدوء غاضب:

-لاحظت أنك أيضاً لم تقم بتنظيف المنزل أمس عندما جاء دورك

قال (سامي) بصوت منزعج:

-سأنظفها اليوم يا أمي..وعد!...

obeikandl.com

أشارت له أمه بيدها الأيسر وهي تمسك بيدها اليمنى المحرك فتقول بصرامة:

-أنا إعتبرتك راشد وكبير ، تدرك مصلحتك ، لكن بما أنك بدأت تتصرف كطفل ، سأعاملك كواحد منهم لهذا اليوم ، حتى تدرك أخطائك وتتعلم منها...

شعر (سامي) بإنزعاج بالغ من جملتها الأخيرة ، فقال بهدوء حزين يجاملها:

-حاضر يا أمي ، لن أكررها مرة أخرى...، وعد مني...

قالت أمه تبدي مزيداً من الصرامة:

-لن تنام اليوم أو تأكل الغداء قبل أن تنظف البيت وتحل واجباتك ، هل أنا واضح؟...

أومئ (سامي) برأسه يقول بهدوء واثق:

-حاضر يا أمي...

ثم صمت لثواني حتى قال:

-أمي ، لماذا (كالفن) جالس مثل التحفة وأثاث المنزل؟ ، لماذا لا تضغطين عليه على الأقل يساعدنا في عمل البيت؟...

أجابته أمه تقول بلهجة مدافعة:

-(سامي)... أنت تعلم أن (كالفن) لديه مشاكل عديدة ، وهو بالكاد إستطاع التخرج من الثانوية بأدنى الدرجات ، والجيش قبل عذرنا بسبب وزنه الزائد ونفسيته السيئة في إعفائه من الخدمة الإجبارية ، وهذا ما أضعف ثقته بنفسه أكثر...

obeikandl.com

غمغم (سامي) بهدوء:

-نعم أذكر أنهم أجروا عليه تحليلات وإختبارات مكثفة قبل أن يصدروا له العذر...

قالت أمه بصوت مشفق:

-بالضبط... ، أنت تعلم جيداً كم حاولنا أن نضغط عليه بعدها ، لكي ندفعه القيام بعمل مفيد في حياته ، ولكن أحياناً يجب علينا أن نحترم الواقع ، أن هناك أشخاص لم يصممهم الخالق (سبحانه) ليعيشوا كما نعيش نحن...

ثم قالت بلهجة متفائلة مبعوثة من روح الأمل:

-دعنا نترك (كالفن) يظهر مواهبه من حيث لا نحتسب

مط (سامي) بشفتيه يشعر بحيرة وينظر إلى الأسفل دون أن ينطق بكلمة أخرى ، ودام بينهما صمت عميق وطويل.

***

ساعات طويلة تمضي:

كان (سامي) في منزله يستمع رنين الجرس ويغمغم قائلاً:

-أنا قادم!

خرج إلى الباحة الخلفية وفتح الباب ، ووجد (هانري) واقفاً متبسماً ، وعند قدميه قدر مغطى بغطاء معدني ، سأله (سامي) بفضول:

-ما هذا؟

أجابه (هانري) ملوحا بكف يده يضرب على الهواء:

obeikandi.com

- مجرد شربة طبخها أبي...

تبسم (سامي) في سعادة وقال:

-شكراً يا (هانري) ، هذا لطف منك

رد عليه (هانري) بلهجته الواثقة الفخورة:

-لا ، هذه فكرة أبي أن نعطيها لكم وليس أنا...

تغيرت ملامح (سامي) يسأله بجدية:

-(هانري) ، ماذا قال والدك اليوم؟

سأله (هانري) بإستغراب:

-بخصوص ماذا؟

عقد (سامي) حاجبيه بإستغراب شديد ، فأجابه يهتف بحدة:

-أنت تعلم! ، بخصوص تورطنا اليوم في المدرسة!

إختفت الإبتسامة عن وجه (هانري) فقال بهدوء عجيب:

-أوه... ، قامت الإدارة بإرسال رسالة إلى هاتف أبي ، لما عدت إلى المنزل: لم يقل لي شيئا سوى أن عتب علي قائلاً: (ما الذي إستفدته من هذا التصرف الطائش؟)...

إنفجر (سامي) يطلق ضحكة خفيفة فقال يشير إلى (هانري) بلهجة مرحة:

-يعجبني أباك ، كم هو رائع...

رد عليه (هانري) منتقداً:

-بالعكس ، إنه مزعج ويتذمر من حياته طوال اليوم!

obeikandl.com

-أنا ليس لدي مانع في أب كهذا!

-أنت المحظوظ ، والديك يحبانك بالفعل

-حتى أبوك يحبك لكن طريقة تعبيره مختلفة فقط

قال (هانري) وهو يتقاسم مع (سامي) الضحك:

- نحن كلانا محظوظين... ، إتفقنا؟...

أومئ (سامي) برأسه متبسماً ، ودام بينهما صمت قصير طال ثواني حتى سأله (سامي) مبتسماً:

-وما زال والدك يتفرج على الأخبار؟

حرك (هانري) رأسه يرفع حاجبيه ثم أجابه:

-لو لم أجد أبي يفعلها لما علمت أنه أبي

ثم أضاف يتذمر:

-لا أكاد أصدق أعود من كئابة المدرسة الكئيبة ، حتى أشاهد أبي يتفرج على المزيد من الكئابة...

سأله (سامي) بإهتمام:

-ما الجديد؟

أخرج (هانري) لسانه وكأنه لا يرغب الإجابة ثم أجابه يغمغم:

-لا جديد ، هجمات إرهابية ضربت هذا اليوم مدن في كواكب مختلفة ، تستهدف عساكر ومدنيين معاً ، مرافق مع إشتباكات عنيفة متفرقة ، دارت بين الإرهابيين والشرطة السياسية ، التي يسمونها: (أمن الدولة) ،

obeikandl.com

لقد إستعانوا حتى بفرق (سوات)... ، وامتدت المواجهات من المدن للأرياف

نظر (سامي) إلى الأرض وتألقت عيناه يقول بهدوء قلق:

-أخشى أن الأمور بدأت تخرج عن سيطرة الحكومة...

أشاح (هانري) بكفه وكأنه يريد إزاحة ذبابة من طريقه فقال بلهجته الواثقة:

-لا عليك ، مجرد حالة مؤقتة ، وطالما أن كوكبنا في معزل عن ذلك ، فالنشغل همنا بالمستقبل ، وبالفتيات الجميلات في مدرستنا!

قالها يغمز إحدى عينيه ويشير له بسبابتيه يطلق ضحكة خبيثة ماكرة وهو ينصرف معاً.

ثم أدار له ظهره متجهاً لمنزله ، وشكره (سامي) وأخذ يحمل قدر الشربة وهو ما زال يبتسم في سعادة وغمرة شعر بها ، ثم دخل الباحة وأغلق الباب خلفه...

وهتف بإنفعال مفاجئ:

-آييي! ، هذه الشربة ساخنة!...

***

openkandil.com

5-موجة الاكتئاب

أخذت السحب السوداء تحجب نور الشمس في ذلك الوقت من الضحى.

كان (سامي) في المدرسة بوقت الدوام حينها ، وفي حصة البدنية.

ذلك المدرب البدين المزعج مع طلاب وطالبات الفصل في حصة كرة الطائرة ، بداخل ملعب مزدوج لكرة السلة والطائرة ، محاط بسقف مرتفع ، يسدها قبة شفافة ضخمة تعبرها أشعة الشمس.

الجميع يرتدون زيهم الرياضي لهذه الحصة.

أخذ المدرب يصرخ وينادي ، ويعطي تعليماته ، والطلاب يتبادلون رمي الكرة على ملعبي بعض ، وبعضهم يجلسون على المقاعد الخشبية الطويلة ينتظرون أدوارهم.

وهنا (سامي) يحاول تصدي الكرة وهي قادمة إلى ملعبهم ، والثقة تملئ قلبه أنه يستطيع فعلها!...، و...

سقطت الكرة على ملعبهم نتيجة إخفاقه ، واشتعل عناصر فريقه بالغضب والسخط وإنتقاد (سامي).

شعر (سامي) بمشاعر الإنزعاج والإحباط ، ومما زاد الطين بلة أن زمجر في وجهه أحد عناصر فريقه يقول غاضباً:

-لو لا تجيد اللعب تنحى جنباً!

إشتعل (سامي) بمشاعر الحزن والإحباط ، فرد عليه مع موجة غضب شعر بها يهتف بالجميع:

-أتعلم شيئاً؟ ، لا بأس ، أنا سأغادر...، لم يكن ممتعاً اللعب معكم من الأساس...

وانطلق (سامي) يسير بخطوات واسعة في طريقه لمغادرة الملعب ، والمدرب يهتف به:

-لو ستغادر الحصة ، سأسجلك مع الغياب

رد عليه (سامي) مغادراً دون أن يعطيه وجهه:

-إفعل ما يحلوا لك

تفاجئ (سامي) أن الفتاة الشقراء المتكبرة (أماندا) كانت بداخل الملعب بزيها المدرسي دون أن تلتفت إلى وجهه ، لقد جائت رغم أنها في فصل آخر.

ومما أثار إنزعاج (سامي) أنها تابعت كل هذا الحوار والإخفاق الذي وقع به...، مما يعني أنه سينال المزيد من إحتفارها له.

إنه لا يراها سوى النسخة الأنثوية من (جايك) المتنمر!...

هتف المدرب يسألها في تذمر:

-مادا تريدين الآن يا (أماندا)؟!...

وبينما يغادر (سامي) سمع (أماندا) ترد عليه:

-أؤكد لك أني كنت يومها عند طبيب المدرسة ، ولم أقصد الغياب عن الحصة!

رد عليها المدرب يزمجر في عصبية:

-أخبرتك سابقاً أحضر لي تقرير من الطبيب!

-كيف أحضر تقرير بعد مرور أسبوع عن يومها!؟

obeikandl.com

غادر (سامي) دون أن يستمع لبقية الشجار بينهما ، لكنه خطر في باله يحدث نفسه في سخط وإنزعاج:

-يالها من فتاة عنيدة وبغيضة ، مصرة أنها تحصل على مئة في المئة بشهادتها...

ثم قال وهو يسير في الممرات بمزيد من الإكتئاب:

-كأن الحياة هذه يوجد فيها ما يحمسنا للقتال لأجله...

ثم أطلق زفرة وقال لعقله أثناء سيره:

-ربما لهذا السبب والد (هانري) مقرب مني كثيراً ، لأنه يشاركني في كراهية الحياة ، بطريقة مختلفة ، على الأقل هو أكثر شخص يستطيع تفهم مشاعري...

بعد مرور ساعة كان جميع طلاب وطالبات الثانوية يأكلون الغداء الجماعي في تلك الحجرة الشاسعة ، (سامي) الذي عاود يرتدي الزي المدرسي مع صديقه (هانري) يأكلان الغداء لوحدهما حول مائدة صغيرة.

سأله (هانري) بإستغراب بعدما بلع ما في فمه:

-تبدو منزعجاً يا (سامي) ، ما الذي يضايقك؟...

بالفعل لم يتمكن (سامي) من إخفاء إكتئابه ، رد عليه بهدوء حزين:

-كل شيئ يا (هانري) ، لا أفهم ما سر هذا الإكتئاب المفاجئ الذي ضربني هذه السنة ، لم أعد متحمس للمستقبل ، وكل شيئ في حياتي آخذ بالإنهيار ، علاقتي مع الجميع سيئة ، درجاتي متدنية ، أفراد أسرتي لا يعيرونني بأي إهتمام... ، وأختي توجه لي إهانات طوال الوقت ، وأدائي في حصة البدنية سيئ للغاية ، و(جايك) يتنمر علي يومياً ، والكل أصبح يهمشني...

كان يتمتم جملته يضع يديه على جانبي رأسه ، ثم أضاف بصوته المحبط:

-والأسوأ من هذا كله ، جميع طلاب المدرسة لديهم صديقات إلا أنا...

هنا أطلق (هانري) ضحكة مصطنعة ساخرة يرد عليه بحدة وإستنكار:

-جميع الطلاب تقل لي؟؟ ، أنظر حولك!

ثم صمت فجأة لعدة ثواني يتأمل في جملته ، فاستطرد يقول متراجعاً:

-لا صحيح كلامك ، جميع الطلاب لديهم صديقات... إلا نحن فقط...

رفع (سامي) حاجبيه يغمغم في إكتئاب:

-شكراً لك على رفع معنوياتي

ضربه (هانري) على كتفه ضربة ودية يقول له بلهجة فخورة:

-هيا يا (سامي)! ، أنا فقط أمزح معك ، لا تأخذ كلامي بجدية

ثم أضاف بمزيد من الحماس:

-المستقبل كله في إنتظارك ، هناك حياة طويلة أمامك ، المدرسة لا تعبر عن حال المجتمع ، بل هي تجمع لحثالاتهم ، سيأتي يوم تعمل في وظيفة راقية ، وتجد فتاة كل يوم تساعدها ، وتعلمها ، وتحبك ، وتكتشف أنكما لديكما الكثير من الأمور المشتركة ، أصبر يا (سامي)!...

أدار (سامي) عينيه في تضايق ، فأطلق (هانري) تنهيدة يقول:

-أنا أعلم ما الذي يزعجك ، مشاعرك تجاه (جاين) ، منذ أن دخلت هي المدرسة بداية السنة ، وأنت حالك من سيئ إلى أسوء ، هذا شيئ طبيعي فينا كبشر!...

رمقه (سامي) بنظرة إستغراب شديدة ، وحتى من داخل قلبه لم يكن يصدق ما قاله (هانري) الذي أضاف:

-لماذا لا تسترجل نفسك وتخبرها عن مشاعرك...

شعر (سامي) بإنفعال ، وصدمة ضربت قلبه ، فرد عليه بحدة منخفضة:

-هل أنت مجنون؟ ، لو فعلت ذلك ، فقد يؤدي الأمر أن ترفضني لبقية عمرها ، الأمر يتطلب بعض الوقت لكسب إعجاب تدريجي منها

شبك (هانري) يديه يقول منتقداً:

-لا ، ليس مجددا أسلوبك البطيئ... ، أنظر.. ، لو تأخرت ، سيأتي غيرك ويأخذ مكانك في قلبها ، إستغل جيداً أنها ما زالت جديدة في المدرسة

حرك (سامي) رأسه يقول:

-لا أستطيع أخاطر ، أخشى أن يؤدي الأمر لكسر وتحطيم قلبي...

ثم أطلق تنهيدة يقول معيداً لكلاهما إلى المربع الأول:

-بالفعل أنا محتار ، ومتخبط ، وأفكاري مشتتة ، والحياة حولي كئيبة...بكل معاني الكلمة...، أشعر كأني إنسان جسده حي وقلبه ميت...

أطلق (هانري) تنهيدة متذمرة ، ثم أمسك بكأس مياه بلاستيكي نصف مفروغ.

من دون سبق إنذار: سكب (هانري) ماء الكأس فجأة على وجه (سامي) ، فتبلل قميصه ووجهه.

(سامي) الذي تقطرت المياه عن وجهه شعر بصدمة بالغة ، وهو يتابع (هانري) بذهول يقف على قدميه مغادراً ويقول بإحتقار مفاجئ:

-أنت أكثر أنثوية من أي فتاة في المدرسة...

هنا إشتعلت عروق (سامي) بالغضب والإهانة ، وفجأة ، نهض (سامي) على قدميه ينتفض ، وأمسك بلعبة المياه التابعة له ، وألقاها تجاه (هانري)!

إلا أن (هانري) تفادى لها ، ورد عليه بثقة:

-يجب أن تكون أكثر رجولة لكي تصبني!

إنتفض (سامي) مجدداً مع غيظ الإهانة ، وأمسك بعلبة مياه أخرى تابعة لطالب يجلس خلف مائدة مجاورة ، لكي يلقيها على (هانري) الذي تباعد يهتف به بإستفزاز:

-أثبت لي أنك رجل!

أطلق المتنمر (جايك) وصديقاه من الخلف ضحكة شامتة سمعها (سامي) ، مما زاد فيه شعور الغضب والغيظ يهتف (بهانري):

-أيها الحقيييير!...

فانقض (سامي) بعلبة المياه التي إستولى عليها ، وركض خلف (هانري) ، وألقاها بأقوى قوته مطلقاً معها زمجرة غاضبة.

وأخيراً أصابت العلبة (هانري) على صدره وانسكب الماء على قميصه.

كلا الإثنين أصبحا ملطخين بالماء ، و(سامي) يهتف به بإنفعال:

-الآن علمت من هو الرجل!!؟

ما لم يتوقعه (سامي) عن نفسه أنه شعر كأن الماء بدأ يطفئ فيه شعور الغضب.

(هانري) لم يرد عليه سوى بضحكة شاهقة أطلقها فجأة ، فبدأ (سامي) لا إرادياً يشاركه في الضحك أيضاً.

obeikandl.com

إقترب الإثنان من بعض وهما يتبادلان الضحك ، ثم إبتسم (هانري) في وجهه إبتسامة عريضة يقول له بمراحة:

-أنت بحاجة لموجة إستفزازية تساعدك من وقت لآخر ، أحيانا يكون الغضب علاج أخير للإكتئاب...

ثم وضع يده الأيمن على كتف (سامي) يقول له بلهجة فخورة:

-أنت إنسان قوي ، لا تستسلم لوساويسك التي تراودك

رمقه (سامي) بنظرة حادة واثقة ، ووضع يده المماثل يقبض على ذراع (هانري) يشد عليها ، كأنما يشير له بضرورة التعاون والتماسك ، فرد عليه بلهجة مماثلة:

-شكراً يا (هانري) ، لهذا السبب أنت صديقي المفضل...

رد عليه (هانري) مازحاً:

-صديقك الوحيد في الواقع

تبادل الإثنان الإبتسامات ، ثم إلتفت (سامي) إلى أمر ما أثار مفاجئته.

(جاين) كانت قريبة منهم ، وتجلس مع صديقاتها من خلف ظهر (هانري) الذي لم ينتبه لها.

وكانت تنظر إليهما وتبدي لهما إبتسامة ساحرة بعدما تابعت كل هذا الحوار بتفاصيله.

سارع (سامي) بغض النظر بسبب إرتباكه من وجودها ، فقال:

-أحم!

ثم سحب (هانري) يجول معه في طريقهما لمغادرة الحجرة وهما يتبادلان الأحاديث الجانبية.

6-الأب العجيب

لم يكاد (سامي) يصدق نفسه في ذلك اليوم أنه عاد حديثاً من المدرسة ودخل البيت ، حتى سمع صوت أخته المزعجة تقول بصوت واثق:

-(سامي) ، لن تنام اليوم بعد المدرسة

وكانت أخته ترتدي ثيابها المنزلية ، هنا شعر (سامي) بالضجر ، رد على أخته يرفع صوته ساخراً بعناد:

-ها ها! ، الآن أصبحتي ولية أمري؟ ، ما الذي تبقى لتفرضيه علي أيضاً؟

وضعت أخته يدها على دقنها بإستخفاف ، وردت عليه ساخرة:

-لم أقرر هذا بعد

ثم أضافت بجدية:

-أما نسيت أن أبي قد عاد من سفره من كوكب (بلاتان)؟

وضع (سامي) كفه على جبهته ، وشعر أنه أحمق ، فقال في تذمر:

-أووه ، لقد نسيت ، تباً! ، كان ينبغي علي أنام مبكر أمس!

كشرت أخته أسنانها بإبتسامة شامتة فقالت:

-هه! ، وبعد هذا كله تطلب من أمي تعاملك كرجل راشد...

مجددا شعر (سامي) بمرارة الإهانة والغيظ تجاه أخته فرد عليها بحدة:

-صحيح ، وبهذه الأخلاق سأظل رجل البيت رغم أنفك!

ردت عليه أخته ساخرة:

-قل هذا الشيئ لزوجتك المستقبلية...، هذا إذا أصلا كان لها وجود...

obeikandi.com

ثم تحركت تصعد الدرج تاركتا (سامي) يكتوي بنار الغيظ ، إلا أنها قابلت أمها التي تقف خلف سور الطابق الأول المطل على الصالون ونادت بهم:

-هيا يا (سامي)...(ريتشل) ، لقد تأخرنا على أبوكم ، فالنسرع للمطار...

ثم هتفت الأم تزمجر:

-(كالفن)! ، أترك لعبتك واجهز!

كان (كالفن) منهمك بلعبته فرد عليها:

-أصبري يا أمي ، لم يتبقى إلا القليل وأهزم هذا الزعيم!

وضعت أمهم يديها على رأسها وكأنها تريد تقطيع شعرها من فرط الحنق...

فجأة جائت (ريتشل) بخطوات واسعة ، ودون سبق إنذار فصلت سلك الجهاز عن الجدار بجرأة عجيبة.

وانطفأت الشاشة الهلوجرافية فجأة ، وهنا صرخ (كالفن) بأعلى ، نهض على قدميه يطلق على أخته كل أنواع السباب في هيجان لأنها أفسدت عليه لعبته.

لكن والدتهم هتفت لبنتها تقول بمراحة:

-شكراً يا (ريتشل) أنتي عبقرية!... ، هيا يا (كالفن) إجهز الآن!

في حينها نظرت (ريتشل) إلى وجه (سامي) نظرة تشمت ، وكأنها تلمح له أنها أكثر تأهلا منه لتصبح ربة البيت.

مما زاد شعور (سامي) بالإحتقان تجاه أخته ، أشعرته كأنه لا قيمة له بتاتاً...

بعد مرور فترة طويلة: كان جميع أفراد الأسرة بداخل السيارة التي تقودها أمهم ، تجول في الشوارع وقت العصر.

(ريتشل) تجلس بجوار الأم ، و(سامي) و(كالفن) يجلسان في الخلف.

يالها من عائلة عجيبة تصدر النساء أمام الرجال في هذا اليوم بالتحديد.

(كالفن) كان لا يبالي ، وكل همه في لعب لعبة إلكترونية من جهاز آخر صغير يبث صور هلوجرافية ، في أثناء أخذ (سامي) يهتف مزمجراً يعبر عن غضبه:

-أمي! ، (ريتشل) تتصرف كأنها طفلة وتسابقني للجلوس بجوارك ، أليست هذه تصرفات طفولية؟

أطلقت (ريتشل) ضحكة خفيفة ساخرة أخرى ، وابتسمت الأم تقول بمراحة:

-إذا كانت تصرفات طفولية ، فلماذا تثير غضبك؟

هنا سقط فك (سامي) السفلي بعدما ألقمته أمه حجرة ، ولم يستطع أن يرد عليها.

فجأة ودون سبق إنذار سمعوا بوق سيارة للشرطة المرورية تجري من ورائهم ، فقال (سامي) مذعوراً:

-أمي أنتي مسرعة!

إرتبكت أمهم بشدة ، وشعر (سامي) بقلق شديد ، شاهدوا الدورية تطارد مسرعة.

إلا أن هناك سيارة مسرعة أخرى توقفت على الجانب الأيمن من الطريق ، وتوقفت دورية الشرطة المرورية خلفها ، فأطلقت أمه تنهيدة وقالت تعبر عن خوفها:

obeikandl.com

-الحمد لله ، لقد أوقفوه هو بدلا مني...

قال (سامي) في إرتياح:

-نعم ، لقد شاهدوه قبلنا لحسن الحظ ، لكنك أسرعتي كثيراً يا أمي! ، لا أدري كيف سنأخذ مصروفنا هذا الشهر لو أعطوكي مخالفة؟ ، نحن في أزمة مادية كما تعلمي

قالت أمه في إنزعاج وقلق:

-أصمت ، لقد تأخرنا على أبيكم!

أطلق (سامي) تنهيدة ثم قال يحدث عقله:

-آخ ، لهذه الدرجة أمي تخاف من أبي... ، ليس لأنه يضرب بالعصاة ، بل من فرط حبها له!...

ثم كشر أسنانه يقول لعقله:

-كم أنت محظوظ يا أبي ، لأنك تملك هذه الزوجة الرائعة ، ليتني أجد فتاة على نمط أمي ، لكني أشك أنها المرأة الوحيدة من نوعها في هذا الكون بأكمله...

بعد مرور دقائق طويلة إقتربوا من مطار المدينة وهم يسيرون في طريق خرج بهم من حدود المدينة.

كان هناك بجوار الطريق من الجانبين سوران يفصلانها عن سكتي حديد لسير القطارات ، جزءا من وسائل النقل العامة المجانية التي توفرها الحكومة لبعض المسافرين الذين لا يجدون أحداً في إستقبالهم أو توصيلهم للمطار...

تأمل (سامي) في كثافة الخدمات العامة وهو يشاهد قطاراً طويلاً في طريقه تجاه المدينة على يسار الشارع...

obeikandl.com

بعد فترة: توقفت سيارتهم في زحمة سيارات مكتظة عند نقطة تفتيش للشرطة السياسية التي يسمونها (أمن الدولة) ، إضطرت الأم أن تفتح نافذة جانبية على سيارتها.

ظهر الخوف والتوتر جلياً على وجوه أسرة (سامي) ، فقد تذكروا أنهم يعيشون في ظل دولة بوليسية قمعية.

كان هناك في نقطة التفتيش عساكر من الشرطة السياسية يرتدون خوذات وأزياء مضادة للرصاص ، يحملون بنادق آلية ، وشاحنة صغيرة للشرطة مركونة جنباً ، فوق حوضها الخلفي مدفع رشاش ثقيل يصوب على السماء ، يمسك بها عسكري متأهب.

وسيارات أخرى للشرطة متوقفة جنباً ، تشغل بريقها من مصابيحها العلوية.

شعر (سامي) بشعور رهبة شديدة من هذا المنظر المخيف ، فقال بخفوت:

-يا إلهي ، الشرطة متوترة جداً...

ردت عليه أخته بخفوت:

-أصمت يا (سامي)! ، هل تريدهم يسمعونك؟

قالت الأم بثقة غامضة وخفوت:

-لا يمكننا أن نلومهم ، الظروف الأمنية في هذه الأيام خطيرة...

أخذ العسكري يدقق في وجوه المارين ، ولما جاء دورهم ولحسن الحظ أشار العسكري بيده لأم (سامي) يأمرها بإكمال سيرها ، فواصلت تسير بهدوء حذر تغلق نافذتها مجدداً.

وتنفسوا جميعاً الصعداء لنجاتهم من الإستجواب والشبهة.

وبعد فترة قصيرة شاهد (سامي) السماء فوقهم ، يتابع سفناً فضائية في غاية الضخمة تطلق طاقات مضيئة من أسفلها لكي تسمح لها بالهبوط التدريجي.

أحدثت ضجة عالية أدت لإرتجاج خفيف متواصل بداخل السيارة.

كانت معظم السفن قادمة من الفضاء.

كما أن هناك سفن جوية أخرى قادمة من مدن أخرى على سطح نفس الكوكب.

شاهدوا بنيان شاهق جداً ، وممتد لجميع الجهات ، لذلك المطار نفسه ، وأبراج مراقبة وإتصالات كانت شاهقة.

المطارات الكوكبية في هذا الزمان كانت بأحجام تفوق الخيال.

وتبعث بالتأمل جراء عظم ما وصلت إليه الحضارة البشرية.

كانت السفن الضخمة تهبط بهدوء على أقدام ضخمة تنزلها ، تحتل مواقف شاسعة لها خلف أسوار المطار.

هناك بجوار أسوار المطار صورة عملاقة للإمبراطور (آيكام) ، موضوعة لتذكير الشعب بأن يعرفوا مكانتهم في هذه الحياة...

دخلت سيارة أسرة (سامي) إلى نفق عميق جداً مبني تحت الأرض.

يمرون على أدوار عديدة متتابعة من مواقف السيارات.

كل دور يبلغ حجمه العشرات من الكيلو أمتار المربعة ، تستوعب مئات السيارات.

وهناك مراوح ضخمة جداً تعمل للتكييف ومنع الإختناق ، ومصابيح الإضاءة في السقوف.

obeikandl.com

كانت مناظر مذهلة تبعث الحيرة والتسائل ، من أين لهم كل هذه الطاقة لبناء مثل هذا العمران؟

توقفت سيارتهم في إحدى المواقف وبإحدى الأدوار ، والتفتت الأم للوراء تقول:

-(كالفن) ، دع اللعبة في السيارة ، لا تجعل أبي يراك تستقبله بهذا المنظر...

رد عليها (كالفن) في إنزعاج وهو يلعب:

-أمي ، رجاءا إسمحيلي أنتظر في السيارة

زمجرت به أمه في غضب:

-أترك اللعبة الآن قبل أن أكسر جهازك!...

أطلق (كالفن) زفرة تذمر يترك لعبته...

وبعد مرور دقائق طويلة كان جميع أفراد الأسرة واقفين في صالة الإستقبال ، و(كالفن) يقف خاملاً من دون جهازه ، إلى جانب المئات من المنتظرين.

والسفينة المنتظرة تأخرت قليلاً عن الوصول.

كانت صالة الإستقبال بنيان عظيم ، واسع ، ممتد لكيلوأمتار عديدة ، مزينة بالزخارف والأعمدة الضخمة ، وسقفها شاهق مزين بأقبية شفافة رائعة.

إلا أن ما يفسد روعة المنظر في الصالة هي عمليات تفتيش ورجال الشرطة منتشرين في كل مكان في حالة توتر وإستنفار.

وصور الإمبراطور الكبيرة معلقة بجدران الصالة.

obeikandl.com

والآلاف من المواطنين الغلابة في تلك الصالة يشعرون بالخوف والتوتر ينتظرون قدوم أقاربهم وأحبائهم.

ذلك المنظر المخيف أفسد على (سامي) حماسه لإستقبال أبيه...

أو هكذا ظن هو...

لما شاهد أخته (ريتشل) تلوح بيديها وتنادي بكلمة "أبي":

تبخرت مشاعر الرهبة فجأة من قلب (سامي).

لقد شاهد ذلك الشخص ، الذي علمه معاني الرجولة ، وعلمه كيف يعيش حياته...

إنه أباه الذي رباه في صغره ، وأعطى لحياته معناتها...

كان يسير بين المئات والمئات من المتوافدين...

ويجر خلفه حقيبة كبيرة على عجلاتها كغيره من القادمين.

كان الأب أبيض البشرة ، يميل للطول ، متوسط العرض ، في أواخر الأربعينات من عمره ، بدين بعض الشيئ ، بيضاوي الوجه ، أسود الشعر لكن البياض بدأ يجتاح اللون.

هنا هتفت الأم تلوح بيديها بإنفعال بالغ وتنادي به:

-جاااايمز! ، هاي! ، نحن هناااا!

هذا هو والدهم وإسمه (جايمز) ، كان يتقدم يسحب حقيبته بيده ويلوح لهم بيده الأخرى مبتسماً بشدة.

في تلك اللحظات لم يتبقى في قلب (سامي) أي نقطة من مشاعر الخوف أو الإكتئاب.

obeikandl.com

لقد إفتقد أبيه بشدة...، وكم كانت عودته تفرح القلب...

لما وصل إليهم والدهم ، هتف يقول بإنفعال شديد:

-إفتقدتكم جميعا!...

ثم إنضمت الأم تعانقه بحرارة بالغة ، وتتبادل قبلات معه بحرارة ودون مبالاة بوجود الأبناء ، تبادل (سامي) مع (ريتشل) نظرات التقزز من هذا المنظر.

ثم قال الأب يظهر الإبتسامة العريضة ينادي بإسم زوجته:

-كم إفتقدتك يا (ماري).. ، كم إفتقدكم جميعاً...

أول من عانقه من أبنائه هو (سامي) ، وكانت معانقة حارة شديدة يقول له أباه بفخر:

-كيف حال رجل البيت!؟

ثم عانق (ريتشل) يقول لها بحرارة:

-كيف حالك يا (ريتشل) ، أنتي جميلة كدائما!...

ثم أخذ يستدعي بيديه ولده (كالفن) وينادي به بحماس:

-تعال يا (كالفن) سلم على أبيك ، أيها الولد العبقري الموهوب!...

وضم ولده يعانقه بحرارة متبادلة شديدة...

لم يكن الوالد يظهر أي تمييز بين أولاده... ، ويحبهم جميعاً حباً جما...

وبعد فترة قصيرة كانوا بداخل مصعد أسطواني واسع يضم أفراد الأسرة إلى جانب عشرة أشخاص آخرين ، والصمت العميق يعم بينهم ، وكان (سامي) هو من يجر حقيبة أبيه.

opeikandi.com

ويتوقف المصعد في دور تلو آخر من مواقف السيارات ، حتى توقف إلى إحدى الأدوار خرجوا منه ، يسيرون تجاه سيارتهم.

بعد مرور فترة طويلة: ها هي السيارة تجول في شوارع المدينة ، والأم هي من تقودها ، والأب يجلس بجوارها ، والأبناء الثلاثة متزاحمين في الخلف ، (كالفن) يجلس في الوسط بين أخويه منشغل بلعبته الإلكترونية التي إستعاد السيطرة عليها.

وأثناء صمتهم دخلت السيارة من تحت نفق عميق وطويل يمر من تحت الأرض مبني على أعمدة ضخمة ، مزود بمصابيح عديدة ، قاطع (سامي) صمتهم يقول أثناء السير:

-أبي ، حدثنا كيف كانت رحلتك؟

أجابه والده بلهجة مرحة مجاملة ، كان يحاول التستر بها عن تعبه وإرهاقه:

-رحلة طويلة يا بني ، وشاقة ، السفر لوحده من كوكب (بلاتان) إلى (ميسجان) في سفينة (سبايس باص كلاس 9) الحديثة ، وبسرعة تعادل عشرات الأضعاف سرعة الضوء ، إستغرق منا ستة أيام للوصول... ، هل تتخيل هذا الشيئ؟؟

تكلمت (ريتشل) ترفع حاجبيها:

-كم أغبط هاؤلاء الذين يملكون سفناً فضاء خاصة... ، لكنها المشكلة لا يستطيع الحصول عليها سوى الأغنياء ، وتجار الفضاء ، والقراصنة...

سأل (سامي) يغمغم:

-المهم هل إستمتعت برحلتك يا أبي؟

أطلق والده تنهيدة وهو يجاوبه:

-أنت تعلم طبيعة عملي يا بني ، الحكومة تصرف على تذاكري ، لكي أذهب من حين إلى آخر لكواكب مختلفة وأعود منها.. ، أعمل مع فريق المهندسين والجيولوجيين لنخطط بناء مدن ومباني ، وندرس طبيعة الأراضي...إنه عمل شاق...

ثم أضاف بهدوء:

-وعندما أكون هنا معكم ، يكون دوامي يومياً كما تعلمون في تلك الدائرة الحكومية المخصصة بأبحاث علم الأرض

قال (سامي) بصوت غير واثق:

-رغم صعوبة العمل ، إلا أن الراتب على الأقل جيد ، يكفينا لنعيش حياة كريمة

أومئ والده له برأسه يقول بصوت ممزوج بشيئ من الحسرة:

-صحيح ، رغم أن الضرائب القاسية المفروضة علينا ، إلا أن بقية الراتب يكفينا بصعوبة لنعيش حياة كريمة

سألته (ريتشل) في تأمل:

-أبي ، بمقابل الخدمات العامة التي توفرها الحكومة لشعبها ، هم يأخذون ما بين نصف إلى ثلث راتب كل مواطن كضرائب ، بغض النظر عن غناه أو فقره؟

أجابها والده بلهجة واثقة:

-نعم يا بنتي ، هذه هي فكرة النظام الإشتراكي الفريد التي تعمل بها حكومتنا منذ أربعة عقود ، بحسب حجم راتبه ، يأخذون نصفه أو ثلثه ، مقابل دعم الإقتصاد والجيش ، وتوفير حياة كريمة مستقرة للجميع ، نحن لدينا حكومة جيدة وحكيمة...

obeikandl.com

قالها بصوت كأنه لا يرغب قولها ، ثم أضاف بنفس الوتيرة:

-نعم نحن نعيش في العصر الذهبي الأول للبشرية منذ أربعة عقود ، حيث توقفت فيها الحروب الطائشة ، ونهضت لدينا الحضارة ، وفتحت الأبواب أمام المواهب ، وازدهرت بيننا كل أشكال الفنون والمهارات...، في ظل مجتمعات تعيش بأمن وإستقرار غير مسبوق...

لكن (سامي) لاحظ أن عينا والده تتألق في قلق عميق يضيف قائلاً:

-قبل أن يبدأ هاؤلاء المخربين الإرهابيين في الظهور ، يحاولون تدمير كل هذا...

رد عليه (سامي) في محاولة لطمأنته:

-ما زالوا ضعاف ، وضرباتهم محدودة ، أتوقع أن تتمكن الحكومة القضاء عليهم قريباً ، لقد إعتقلوا وقتلوا الكثيرين منهم في الأيام الماضية...

حرك والده رأسه يقول بلهجة إنزعاج:

-هذه الأخبار المتكررة نسمعها منذ سنة تقريبا ، ولم يزداد الأمر إلا سوءا مع الوقت ، أخشى أن هناك مصدراً مجهول ما يمولهم ويسلحهم بشكل يفوق خيال العقل...

شعر (سامي) بموجة إكتئاب جديدة عصفت بقلبه ، فسأله في فضول ملح:

-من هم يا ترى؟

أجابه والده:

-ربما يكونوا من أتباع أنظمة سابقة كانت موجودة قبل قيام الإمبراطورية ، لست متأكد... ، ليس هناك أي شيئ واضح عنهم

obeikandl.com

قال (سامي) بلهجة هجومية:

-الحكومة ما زالت تصر تخفي عنا كل شيئ ، حفاظاً على هيبتها.. ، جبناء...

أطلقت أخته تنهيدة متذمرة من حديث أخوها ، لكن والدهم سأل (سامي) بأسلوب مفاجئ:

-هل ما زال جارك (إيدود) يحاول غسل دماغك ويحرضك ضد الحكومة؟

حرك (سامي) رأسه يمط شفتيه ، ولم يكن يرغب فتح الموضوع بشأن جاره ، فأجابه يغمغم:

-آآه ، أنت تعلم أمره جيداً ، هو هكذا منذ أن ماتت زوجته المسكينة في حادث مروري قبل عامين ، لذلك لا يمكن أن نلومه...

أطلق والده تنهيدة ثم قال:

-هذا عذر غير مقبول ليعرض أسرته للخطر... ، (سامي)... ، أنت لم تعد طفلا لكي أتدخل في حياتك ، فأنت حر في قرارك ، ولكن إنتبه من ما يقوله جارك ، لو جاء مخبر وعلم أنك فقط سمعت ما قاله ، دون أن تبلغ عنه ، سيرميك أنت وهو في السجن تواجهان الإعدام ، وربما حتى جميع أفراد العائلتين...، إنتبه يا (سامي)!...

رد عليه (سامي) بثقة عجيبة:

-طالما أن صديقي العزيز (هانري) يعيش في بيته ، فلن أدعه يصاب بمكروه قبل أن يصيبني أنا...

أشار له والده بسبابته يقول بصرامة وثقة:

-إذن حاول أن تثني والده أن يبتعد عن هذه الهرقطات ، لأنه بلسانه الطويل سيعرضنا جميعاً للخطر!

obeikandl.com

أومئ (سامي) برأسه في أسف وحزن ، فأجابه يغمغم:

-معك حق يا أبي... ، سأحاول ما بوسعي لاحقاً...

دام بينهم صمت عميق وطويل ، خرجت السيارة في أثنائها من داخل النفق تجول تحت السماء وبين أبراج المدينة مجدداً ، قبل أن يقاطع الأب صمته يسألهم:

-كيف المدرسة معكما؟

حركت (ريتشل) رأسها فأجابته بمراحة:

-كل شيئ على ما يرام أبي...

سألها بفضول ومراحة:

-ماذا بشأن معشوقك (سايكس)؟ ، هل ما زلتي تواعدينه؟

مطت (ريتشل) شفتيها وقالت:

-آآآه...نعم ، ما زلنا نخرج ونتواعد...من حين إلى آخر...

تسائل والدهم في فضول:

-وماذا عنك يا (سامي)؟ ، هل ما زلت تفجر ألعاب نارية في المدرسة؟

تبسم (سامي) لا إراديا مع شعور بالخوف من عتاب أبيه ، إلا أن هذا لم يحدث ، فتماسك نفسياً وأجاب يغمغم:

-لا طبعاً ،... لكن لا شيئ جديد معي...

ثم صمت قليلاً لثواني وأضاف برهبة:

-صح يا أبي... ، آآآه... ، لدي أمر مهم أريد أحدثك عنه

-ما هو؟

أجابه (سامي) وهو يشعر بمزيد من التوتر خوفاً أن يرفض أباه طلبه:

-أبي...أريدك أن تدخلني نادي رياضي ، أريد أن أتمرن على حمل الأثقال...

سأله والده بأسلوب مازح:

-أووه ، ولماذا؟ ، لإجتذاب الفتيات؟

قالها مبتسماً بمراحة وهو يلتفت لإبنه يغمز بإحدى عينيه ، فأجابه (سامي) بإبتسامة مريرة:

-كلا ، ليس لأجل هذا ، بل لكي أستطيع الدفاع عن نفسي...

فجأة إنقلب وجه والده ، وتحول يرمقه بنظرة جادة ، فسأله:

-إنه يتعلق بأمر ذلك المتنمر الذي أخبرتوني عنه ، أليس كذلك؟

أومئ (سامي) برأسه يقول:

-نعم يا أبي ، إنه لا يتوقف عن أذاه ، لابد أن أدرب نفسي لكي أواجهه وأشبعه ضرباً لكي يتأدب...

تبادل الأب النظرات المنزعجة مع الأم ، ثم عاود الأب يلتفت إلى ولده يطلق تنهيدة ، وقال:

-يا بني... أنا ظننت أننا تجاوزنا هذا الموضوع منذ زمن... ، أنا لن أدخلك للنادي ، لكي تتعلم العنف والإنتقام وإيذاء الآخرين

شعر (سامي) لحظتها بصدمة إحباط وغضب ، وكأنه ندم على حماسه بإستقبال والده ، فرد عليه يرفع صوته:

-لكن يا أبي...

قاطعه والده يقول أثناء سير السيارة:

-كم علي أذكرك يا ولدي ، العنف.. ، لكن يكن يوما مآ حلا لأي مشكلة...

رد عليه (سامي) بغضب بالغ:

-هذا على عكس ما قلته آخر مرة ، أنت قلته إنه آخر الحلول...، وهذا ما أسعى له...

رد عليه والده بثقة شديدة:

-نعم آآآخر الحلول ، وليس أولها ، هل إستنفدت لديك جميع الخيارات معه؟؟...

أجابه (سامي) بعناد شديد:

-نعم يا أبي!

سأله والده بعناد مماثل:

-مثل ماذا؟؟...

كشر (سامي) أسنانه في حنق شديد ، فقال:

-دائما وأبدآ نقول له: دعنا وشأنا.. ودعنا وشأننا... ، ولا يتوقف ، يطئ على كتاب زميلي ، يضربنا أحيانا ، يفسد علينا الغداء في المدرسة ، يسقط صحون أطعمتنا ، إنه لا يتركنا أبدآ!...

رد عليه والده:

-أنا سألتك ، عن أي خيارات قمت به أنت ، وليس هو...

ثم أضاف بمزيد من الثقة:

obeikandi.com

-إذا كنت تظن أن كلمة "دعننا وشأننا" هي جميع خياراتك ، فأنت ما زلت في مرحلة الروضة في علم الدبلوماسية...

هتف به (سامي) بحدة:

-دبلوماسية!!؟؟ ، مع واحد حقير مثل (جايك)؟؟...

رد عليه والده بلهجة كأنها ساخرة:

-من ما سمعته أنا من تصرفات (جايك) ، منك ، ومن والدتك ، لم أرى فيه أي من صفات الحقارة الحقيقية التي تصفه بها...

إتسعت عينا (سامي) على الآخر من فرط الذهول والصدمة إستغراباً من طريقة ردة فعل والده الذي أكمل يقول بثقة بالغة:

-يطئ على كتاب ، يكب عليك الطعام؟ ، هل أنت جاد يا بني؟؟ ، هل هذا هو الشخص المثالي للحقارة والنذالة في النفس البشرية؟

ثم أضاف عليه يقول بصرامة وجدية:

-هذا يدل أنك غير مؤهل بعد لمواجهة العالم الخارجي

كانت تلك الكلمة الجارحة كأنها سكين طعن قلب (سامي) ، ووالده أضاف بنفس اللهجة:

-هل تسمع عن قصص السجون الجنائية المكتظة بالمجرمين؟ ، وبشاعة الجرائم التي إرتكبوها؟ ، أمور تشيب لها الرؤوس... ، سيجعلك ترى (جايك) كأنه مَلك مقارنتا بهم...

رد عليه (سامي) بثقة وعناد متصاعد:

-صحيح ، لكن هاؤلاء ينالون من الضرب والتعذيب ما يجعلهم يلعنون اليوم الذي ولدوا فيه...، لكن (جايك) ما زال في مأمن عن جزائه...

رد عليه والده:

-ليس هذا مقصدي ، مقصدي أن العنف مقابل العنف ليس الحل...

ثم أضاف بإنتقاد شديد:

-هل تريدني أدعمك ، لكي تحطم أنفه ، وتصبح أنت هو المتنمر مكانه مثلاً؟

ثم أضاف بنفس اللهجة المعاتبة:

-هل لديك أي فكرة عن الآثار النفسية على المدى البعيد ، إذا فعلتَ شيئاً كهذا؟ ، هل تريدني أن أصنعك وحشاً مثلاً ، تقع فيه زوجتك وأبنائك في المستقبل ضحاية ذلك؟...

رد عليه (سامي) في غضب وحزن بالغ:

-أبي ، أنت لا تعرف طبيعة ما أمر أنا عليه...

أطلق والده تنهيدة ساخرة ، ثم رد عليه:

-لو تعلم ما مر على غيرك ، لعلمت لماذا أقول لك هذا الشيئ

فور أن قالها قاطع حوارهم صوت دوي مروحية تحلق في السماء ، أخذ ضجيجها الصاخب يرج السيارة من الداخل...

كانت المروحية تابعة للشرطة ومتطورة ، مزودة بمروحة كبيرة بداخل حلقة معدنية واسعة ، ومروحة أخرى على ذيلها محاط بحلقة أصغر.

أخذت تجول في السماء ببطئ في دورية سمائية لمراقبة الأوضاع ، فعلق الأب يقول بإهتمام بالغ:

-الدولة أصبحت متوترة ، والأوضاع في غاية الخطورة...، إنتبه يا (سامي) من أقوال جارك... ، إنتبه قبل أن ترى مالا يسرك...

oberkamal.com

***

في عز الليل والظلام الدامس الذي عم كل شيئ.

لم يشق صمت الليل سوى أصوات الحشرات الليلية تزغرد.

(سامي) مستلقيا بظهره على فراشه بحجرة نومه المظلمة يعاني من الأرق ، لا ضوء يطل عليه من النافذة سوى ضوء القمر الأكبر لهذا الكوكب ، إلى جانب ضوء عمود إضاءة ليلية مجاور لبيتهم.

أخذ (سامي) حينها يفكر بعمق وإنزعاج بالغ الشدة من ردة فعل والده على طلبه اليوم ، عندما رفض دعمه في دخول النادي ، وراح يفكر بعقله:

-مرة يقول لي أنت رجل كبير ، مسؤول عن قراراتك ، ومرة يفرض رأيه علي ، لماذا؟...

ثم سأله نفسه بحيرة متصاعدة:

-صحيح أن دخولي النادي لم يمنعني عنه ، إنما رفض فقط دعمي مالياً في الموضوع ، لكن لماذا يرفض سماع رأيي؟...

ضغط (سامي) بأسنانه على بعض في غيظ شديد من ردة فعل والده المحبطة ، قال يحدث نفسه يعبر عن غضبه المتصاعد:

-والدي هذا الغبي الأحمق ، يظن أن جميع مشاكل الدنيا لا تحل إلا بوسائل رومانسية ، تباً له!...

أخذ لمدة ثواني يفكر في آخر جملة قالها لنفسه.. ، وبدأ يفكر ويتأمل...

يتذكر محاسنه وشروره في سيرة حياته الطويلة.

ذهبت ذاكرته للوراء ، عندما كان عمره ثلاثة عشرة سنة ، أي في بداية سن المراهقة:

(سامي) حينها كان وجهه ممتلئ بحبوب الشباب ، دخل البيت من عائد من مدرسة الحي في يوم غاب فيه صديقه (هانري) ، وكان يقبض يديه ، وعيناه تدمعان ، فأخذ يقاوم هذا الشيئ بشراسة.

لقد كان يدرك يقينا أنه من غير اللائق لشاب في سنه حينها أن يبكي كالفتيات ، ولم يرد أحد أن يشاهده أحد على هذا الحال... خاصة أخته...

والده كان جالساً لوحده على أريكة في الصالون يتابع أخبار الرياضة في التلفاز الهلوجرافي ، فقال مرحباً بمراحة:

-ولدي البطل ، لقد تأخرت ، (كالفن) أصبح أسرع منك... ، كيف المدرسة اليوم؟

لم يرد عليه ولده الذي سارع للمطبخ في محاولة لتفادي لفت الانظار إلى دموعه.

-ولدي؟

قالها والده الدي وقف على قدميه وتتبعه بفضول إلى المطبخ ، إلا أن (سامي) كان يواجه الثلاجة يصر أن لا يلتفت لوالده الذي دخل المطبخ ورائه فقال بصوت حنون هادئ:

-ولدي... أنظر إلي...

حرك (سامي) رأسه وهو يصر على إخفاء وجهه ، ووالده يضع يديه على كتفي ولده يقول له:

-ولدي...أنظر إلي... لا تستحي ، أنا لست صحفي أبحث عن فضائح... ، هاؤلاء الناس إنقرضوا أساساً منذ زمن بعيد

قالها والده بلهجة مازحة ، فلم يستطع (سامي) أن يقاوم دعابة أبيه الصادقة ويكتم ضحكته التي إرتسمت على وجهه.

وشعر بتعجب من قدرة أبيه المرنة على قلب حزنه إلى ضحك بهذه السرعة.

والتفت إلى والده الذي عاود وضع كفيه الثقيلتين على كتفي (سامي) الضئيلتين يومها ، لكنه لم يقدر على مقاومة دمعة أخرى شقت خده ، فسأله والده بحنان وشفقة:

-يا بني...لما تبكي؟ ، الرجل لا يبكي إلا لسبب كبير...

نظر (سامي) يشعر بمرارة وحزن بالغ تجاه الأرض ، فأجابه:

-لهذا السبب لم أردك تراني هكذآ ، لأن سبب الدموع تافه.. ومخجل...، لكني لا أستطيع السيطرة على مشاعري اللعينة...

قال والده يضغط بيديه على كتفي (سامي) بقوة أكبر وبصوت واثق فخور:

-إرفع رأسك ، أخبرني ما الذي أزعج ولدي...، أنا لا أريد سوى أن أساعدك...

نظر إليه (سامي) ، وعيناه محمرتين بسبب الدموع ، فأجابه بصوت هادئ:

-أنا كنت أتحمل أن يسخروا مني في المدرسة على حبوب الشباب في وجههي ، لكن ما كسرني اليوم ، هي فتاة معنا في الفصل كنت أحبها هي التي إستهزئت علي هذه المرة...

ثم عقد حاجبيه تتألق عيناه يشعر بقهر عميق ، بلغ به إلى هاوية سحيقة ، فقال بلهجة كتومة محتقنة:

-لماذا قدري أن أكون قبيحاً؟...لماذا؟....

مط والده شفتيه يقول متأملاً:

-هممممم...

أنزل يديه عن كتفي (سامي) يجول في المطبخ يبدي تأملا إصطناعياً ، ثم أشار بسبابته يقول:

-أتعلم شيئاً مهماً؟... ، لم يقل أحد أنك لست وسيماً ، أنت في الواقع حسن المنظر

ثم أضاف يرفع صوته:

-لكن فرضاً لو كنت أنا مخطئ ، فلا يوجد هناك عار أن لا تكون وسيماً... ، لولا وجود القبحاء...لما عرف الناس قيمة الجميل والجميلة أو إنتبهوا إلى ذلك ، فمن هو المدين للآخر في نظرك؟

عقد (سامي) حاجبيه وتألقت عيناه تعجباً من حديث أبيه.

واستدار والده يضع كفيه مجدداً على كتفي ولده يقول له بفخر:

- أخبرني من هو المحظوظ؟ ، الرجل الوسيم.. ، الذي يستغل جماله في إغراء الفتيات ، غالباً لا يجتذبهن إلا لمظهره الخارجي ، لكن القبيح ، ينال حب الفتاة التي تنجح في إختبار الحب الحقيقي ، وتقدره بما هو عليه في الحقيقة ، التي لا يسدل عليه أي ستار من أستار المجاملة... واتسعت إبتسامة والده يقول بمرح:

-وفي كلا الأحوال إذا كان الحب لأجل جمال المنظر لوحده ، فإنه لن يدوم طويلاً ، والشخص في كلا الأحوال سيهرم حتماً ويفقد جاذبيته ، لكن الحب الحقيقي يدوم حتى يسيرون على العكازات ، وسيستمر حتى

obeikandl.com

بعد أن يدفنوا تحت القبور وتأكلهم الديدان... ، إنه الحب الحقيقي الأزلي...

ثم رفع يديه عن كتفي ولده ، وسدد على كتفه لكمة خفيفة ودية يقول له:

-فكن شكوراً لله على هيئتك التي أنت عليه ، وعلى نصيبك في هذه الحياة...

تلك الكلمات أخذت تصيب قلب (سامي) كالرياح الباردة ، وبعد صمت طال ثواني أشار له والده يقول بلهجة سعيدة:

-أنت ما زال عمرك ثلاثة عشر ، وأمامك حياة طويلة ، لا تقلق يا ولدي ، سيجدك الحب يوماً ما حتماً ، وستجد شريكة حياتك ، وسر حدوث ذلك أن لا تستعجل عليه ، وأن لا تظهر لهن إلا ما أنت عليه في الحقيقة ، ودون أي مجاملة وخداع...

تبخرت كافة مشاعر الحزن عن قلب (سامي) بشكل نهائي وبسرعة خرافية ، في أثناء أظهر والده له إبتسامة واسعة فخورة ، ثم أدار ظهره له وانصرف مبتعداً دون قول كلمة أخرى.

و(سامي) متجمد في مكانه لا يتوقف عن ذهوله وتأمله في روعة أبيه...

ثم سمع صوت أمه تقول لأبيه من وراء الباب ضاحكة بعدما إستمعت للحوار:

-أووووه (جايمز) ، كم أنت رائع ، لهذا السبب أنا أحببتك...

توقف (سامي) عن تذكر الماضي وهو ما يزال على فراشه.

وتحولت مشاعر الإحتقان فيه تجاه والده إلى مشاعر محبة وتقدير ، فابتسم إبتسامة عريضة يقول لنفسه:

-أنا مخطئ بحقك يا أبي... سامحني...، أنت أروع أب رأيته في حياتي... ، وأنا أدين لك بحياتي...

***

في اليوم التالي: جاء والد (سامي) يقوظ إبنه من سبات أحلامه في وقت المغرب يقول له بصوته المزعج:

-هيا هيا وقت الغداء! ، هيا بنا! ، الأسرة يجب أن تجمع يومياً هناك!

فتح (سامي) باب الحجرة وهو يشعر بمرارة النعاس وأخذ يغمغم في إنزعاج:

-آخ أبي... ، لماذا ضروري إيقاظي من نومي بهذا الشكل كل يوم!؟...

رد عليه والده يقول واثقاً:

-نحن أسرة واحدة ، ويجب علينا يوميا حضور الغداء سوياً ، هيا هيا!

جلس الجميع حول مائدة الطعام الزجاجية في الصالون ، والأب يسأل بفضول:

-(ريتشل) كيف كان يومك؟

ردت عليه (ريتشل) بحماس:

-أبي ، لقد فزت اليوم في مادة التعبير بفصلي وكتبت أجمل قصة حب قصيرة...

هتفت الأم بسعادة:

-أوه (ريتشل) ، أنا فخورة فيكي

قال الأب بفضول:

obeikandl.com

-ماذا عنك يا (سامي)؟

أجابه (سامي) يغمغم:

-كالعادة لا شيئ جديد...

قال الوالد بإنتقاد:

-(سامي) ، الإنسان بحاجة ليخبر أسرته بأمور حياته ، نحن عائلة وجميعنا نهتم بأمور بعض...

ثم قال في غضب يحرف مسار الموضوع:

-(كالفن)! ، خفف قليلا من الأكل الدسم ، وكل من هذه السرطة!

-لكني لا أحب السرطة!

-إنه مفيد يا ولدي!...

وأخذت الأم ترمق ولدها (كالفن) بنظرة مشفقة حنونة ، و(ريتشل) بالعكس تنظر إلى شقيقها بإحتقار ، ومجدداً يبتسم (سامي) إبتسامة دافئة وهو يتابع أفراد أسرته العزيزة...

أيام أخرى تمضي ، وقد جاء الأسبوع التالي:

ها هو (سامي) قد عاد إلى منزله من المدرسة.

لقد عقد العزم هذه المرة أن يقنع أبيه بدعم دخوله النادي الرياضي.

وشعور الغضب يملئ صدره.

إقتحم صالة المنزل بشراسة ، وانتبه يشاهد والده جالس على أريكة طويلة يضع قدميه فوق المائدة ، وهو في حالة خاملة.

obeikandl.com

ويتفرج على التلفاز الهلوجرافي لمبارة كرة قدم بين منتخبات إقليمية كل منها تمثل إتحاد لكواكب مختلف ، كانت تجري في ملعب رياضي شاسع ، تسطع عليه كشافات ليلية ضخمة أضوائها.

و(كالفن) يلعب لعبته الإلكترونية يلبس سماعات على أذنيه بعدما أمره والده بذلك كي لا يزعجه.

والأب كان يتابع المباراة ، يفتح غطاء مشروب غازي أحضره من الثلاجة فبدأ يشربه ، لم يلتفت حتى إلى إبنه ، وقبض يده الأخرى يزمجر بشعور القهر:

-لاااا! ، هذا الحكم وقح ونذل!...

كانت الشاشة تظهر الحكم يعطي كرت أصفر لأحد اللاعبين الذي فقد أعصابه وأخذ يسب ويشتم ، في حين قال (سامي) يغمغم:

-أحم...أبي...

-ماذا تريد؟

أجابه (سامي) بصوت واثق وبإلحاح شديد:

-أبي ، أطلب منك ضروري تدعم دخولي النادي الرياضي! ، الآن!...

سأله والده بلهجة خاملة:

-إنه (جايك) مجدداً ، أليس كذلك؟

زمجر (سامي) في وجهه يعبر عن نار غضبه:

- أتدري ماذا فعل اليوم؟!... ، أخذ مني بالقوة دفتري الرياضيات بينما كنت أذاكر وقت فسحة الغداء ، وألقاه في سلة النفايات...

ثم هتف به يقول:

-هل تعلم نسبة الروائح التي إضطررت أشمها لأجل إستخراج الدفتر؟ ، والقذارة التي غمرت يدي وسطها؟...

ثم هتف يزمجر مجدداً يعبر عن ألمه وقهره:

-أبي ، أدخلني النادي الرياضي حالا ، إجعل لي عضلات على الأقل تشعره بالهيبة!

رد عليه والده يعبر عن إنزعاجه نتيجة مقاطعة إبنه لمبارة الكرة يقول مغمغماً:

-ولدي...هل بإمكانك تتركني وشأني؟

أشار له (سامي) يقول بحدة:

-هذه هي الجملة التي دائما أقلها (لجايك) دون فائدة! ، سوف أتنمر عليك حتى تعرف كيف شعوري!

لما شاهد (سامي) رد والده بالجحدان:

تحرك بكل جرأة يفصل سلك الشاشة الهلوجرافية عن الجدار وانطفأت.

مستلهما تلك التجربة من أخته (ريتشل) التي فعلت ذلك بشقيقها (كالفن) ذلك اليوم.

هنا إنتفض والده على قدميه يهتف:

-ماذا تفعل يا (سامي)!؟

أجابه (سامي) في حدة:

-أشعرك بما أشعر أنا به في المدرسة!...

obeikandl.com

هنا وقف والده فجأة في مكانه ، دون أن يتمكن من الرد على إبنه بأي كلمة أخرى ، يشعر بذهول وتعجب من قول إبنه...

عم بينهما صمت طويل وعميق... ، لا يعير للزمن أي إعتراف...

أخذ والده يمط شفتيه لثواني طويلة ، ثم قال بصوت شديد الخفوت والهدوء:

-حسناً...تعال يا بني... أجلس بجواري...

جلس والده على الأريكة ببطئ ، بينما أطلق (سامي) تنهيدة تذمر ، فتحرك يجلس بجوار والده.

رب والده بيده على كتف إبنه يقول بصوت هادئ وحزين:

-أنا أدين لك بإعتذار شديد ، لأني جحدتك وانشغلت بالمباراة ، لقد كان ذلك قمة في الوقاحة مني...

رد عليه (سامي) منتقداً:

-ليس ما هذا ما أزعجني ، ما يزعجني أنك لا تحاول دعم إبنك في مواجهة خصمه...

كشر والده وجهه يعبر عن مرارة شعر بها ، فقال له بنفس اللهجة الحزينة الهادئة:

- ولدي.. أنا لا أريدك أن تلجأ لخيار القوة... إلا كآخر آخر خيار وبشكل نهائي...

وأضاف يشير إليه بثقة:

-تذكر المثل... ، خير وسيلة للقتال...هو تفاديه...

رد عليه (سامي):

obeikandl.com

-ولكن يا أبي... ، هل تقترح أدس رأسي تحت الأرض كالنعامة مثلاً؟؟

حرك والده رأسه يجاوبه بهدوء واثق:

-أنا لم أقل أن الدفاع عن نفس تصرف خاطئ ، بل هو ضروري في بعض الحالات ، كأن يهاجمك لص فجأة ويعتدي عليك ، بالتأكيد سيتوجب عليك حينها الدفاع عن نفسك...

لكنه أضاف بصوت هادئ مشفق:

-لكن في حالة مثلك ، لديك خصم تعرفه جيداً ، وموجود حولك طوال الوقت ، فالعنف يجب يكون آخر خياراتك... ، أحياناً يكون خيار العنف مدمر على نفسية الشخص...، وقد تقلبه إلى وحش لا يرحم... ، أنا لا أريد أن أجازف بك لكي تصبح وحشاً...

قال (سامي) بمزيد من الإلحاح:

-ولكن يا أبي وضعي مختلف تماماً!...

رد عليه والده قائلاً بإصرار:

- مهما آذاك (جايك) ، الأمر لا يستحق أن تغير نفسك ، وتتحول لوحش كاسر ، فالأمر يتعلق بالمستقبل ، تخيل أنك أشبعت (جايك) تكسير وضرب ، ومر على ذلك عشرة سنوات... ، كيف ستحدث زوجتك وأبنائك عن ردة فعلك يومها؟ ، هل تريد مثلاً تخبرهم لأي درجة أنت مرعب إذا فقدت أعصابك؟... ، وما الذي سيستفيده أبنائك من القصة؟...

وأشار له يقول بمزيد من الثقة:

-دعني أضيف لك لمحة تساعدك ، عندما تحتك به ، تصرف أمامه أنك شخص واثق من نفسك ، ما المانع أن تقول له صباح الخير كلما قابلته؟ ، كل مرة يؤذيك: قابل ذلك بقول "صباح الخير" ، أو "كيف حالك".. ،

واستمر على هذا الطريق ، ربما سيستحي على نفسه يوماً ما ويتوقف...

عقد (سامي) حاجبيه بإستغراب شديد من رأي والده الغريب ، والفريد من نوعه ، وأكمل والده حديثه:

-المتنمر ، لا يؤذي الآخرين إلا لأنه يحتاج للمتعة ، وما يغذي متعته: هو شعوره بعذاب خصمه ، فلو أظهرت له مدى برودك ، وعدم تفاعلك معه...ربما سيتركك في حالك ويمل مع الوقت...

ثم أشار له بسبابته يلمس صدر إبنه يقول بصوت فخوري جهوري ومرح:

-أي من القصتين تفضل أن تحكيها لأبنائك؟ ، أنك قتلت (جايك) ضرباً ، أم إنك قتلته مللاً ، نتيجة جحدانك له؟؟....

مط (سامي) شفتيه يتأمل في حكم والده الغريبة التي واجه صعوبة في إستيعابها ، وشعر بحيرة

في حين أضاف والده بحماس:

-هناك فرق ما بين الأخلاق المحترمة وما بين الجبن... ، تحلى بالأخلاق النبيلة... ، وكن واثقاً بنفسك ، وبما يؤمن به قلبك

أخذ (سامي) يحدث عقله بحيرة:

-هل يعقل أن يكون هو محق؟ ، هل يعقل أن أهزهم (جايك) بهذا الأسلوب؟... ، لا!... ، مستحيل!... ، ليس هذا الطراز من الأشخاص ينفع معه هذا الأسلوب ، إنه سيفهم حسن أخلاقي بأنها إشارة ضعف...

فتح (سامي) فمه يقول ببراءة:

-لكني ما زلت أريدك تدخلني النادي لكي أجتذب الفتيات!

obeikandl.com

أدار والده عيناه في تضايق ، وقال متحسراً:

-محاولة جيدة يا (سامي)... ، لكنك أضعت علي الشوط الأول من المباراة...

وقف على قدميه يعيد تشبيك سلك الهيلوفاز بالجدار ومتابعة المباراة ، بينما دخلت أمهم الحجرة من المطبخ فسألت:

-هاي ، هل تعلم أين ذهبت (ريتشل)؟

أجابها الوالد يغمغم:

-عادت مبكراً من المدرسة قبل أن تخرج مع صديقاتها للتصيع...

ردت عليه زوجته منتقدة:

-هاي! ، لا تقل هذا على بنتنا.. ، هي مجرد تذهب معهن للتقضية بالأسواق...

غمغم (سامي) يحدث عقله ساخراً:

-هه! ، بل والدي محقاً...

قالت الأم بلهجة سعيدة مفاجئة:

-المهم لدي خبر سار... ، جارنا (إيدود) عزمنا على الغداء غداً على الساعة خمسة عصراً...

رد عليه الوالد يستطرد في حدة:

-ماذا؟ ، إتصل عليكم؟

أجابته الوالدة وهي تضحك:

-إتصل على هاتفك وأنا رديت بالنيابة ، لقد نسيته في سرير النوم...

obeikandl.com

شعر (سامي) بإستغراب ، منذ متى يعزمهم (إيدود) على الغداء؟... ، خاصة لأنه لا يطيق والده بتاتا والعكس صحيح...، هل هي مبادرة حسن نية لإصلاح العلاقات؟...

-لا أدري! ، ولا أريد أعرف...

لكن والده قال بإنفعال:

-حسناً! ، شرط حضوري أن لا يشغل الأخبار في التلفاز ، مثلما فعل في آخر عيد ميلاد عزمناه في بيتنا وأفسد علينا الجو بأخبار قتلى ودماء...

ردت عليه الأم في عناد:

-هه ، سيكون من حقه إذن أن يمنعك عن فتح القنوات الرياضة ، فهو لا يطيقها كما لا تطيق أنت أخبار القتل والدماء...

ربع الأب يديه يقول بعناد مماثل:

-أستطيع أصبر لساعة... ، أوه لحظة ... ، لا!... غداً مبارة بين كوكبي (إيكتوم) و(ريمان) ، لتأهل إقليمنا الكوكبي للدور النهائي في هذه السنة ، لا يمكنني أفوته

هتفت به الأم في غضب مصطنع:

-الجار له أولوية!...

رد عليها زوجها بصوت ساخط:

-حسناً أتنازل عن شرطي... ، بإمكانه تشغيل الأخبار.. ، لحظة... ، لكنهم لا يملكون سوى تلفاز واحد... ، لاااا... ، أنا أتنازل عن تنازلي!...

وانفجر (سامي) بالضحك من دعابة أبيه... ، وانضمت إليه أمه في الضحك أيضاً ، وأخذت تعانق زوجها في حرارة وكلاهما يتبادلان الضحك ، فقال والدها بسعادة هادئة:

-أنا كنت أمزح... ، بالطبع سأحضر العزومة...، فالتذهب المباراة للجحيم...

إبتعدت عنه أمهم وهي ما زالت تضم بذراعيها عنق زوجها وتعبث بشعر رأسه الخلفي فتقول بإبتسامة عريضة:

-كما هو متوقع من زوجي الرائع...

***

obeikandl.com

7-العزومة الودية

في اليوم التالي بعد نهاية الدوام:

كانت الحافلة المدرسية في طريقها لبيتهما ، (سامي) بداخلها يجلس بجوار (هانري) فسأله بلهفة وسط ضجيج الآخرين:

- (هانري) ، والدك غريب... ، ما الذي جعله يعزمنا بشكل رسمي فجأة هكذا؟

أطلق (هانري) تنهيدة كأنه لا يرغب الحديث عن الموضوع:

-حسناً يا (سامي).. سأخبرك...

ثم رمقه (هانري) بنظرة جادة فأجابه:

-لقد بلغ والدي ما يقوله والدك أنت بحقه...

عقد (سامي) حاجبيه في إستغراب ، فسأله:

-ما قصدك؟

قال (هانري) بخفوت وحذر شديد:

-أنت تعلم! ، علم أن والدك بدأ يحذرك من تحريضه ضد الحكومة...

شعر (سامي) بصدمة ، فقال بحدة خافتة منتقداً:

-أخبرته عن ما أخبرتك به!؟

سقط فك (هانري) السفلي فأجاب بصوت شديد الخفوت:

-آسف كنت مضطر... ، كانت محاولة يائسة مني لإيقافه عن سب... ال..حك...و...مة...

obeikandl.com

وضع (سامي) يده على وجهه في تحسر ، وقال في إنزعاج:

- (هانري)... هذه آخر مرة أئتمنك على سر...

رد عليه (هانري) في تأسف شديد:

-آسف يا (سامي)... ، ولكن أحيانا يجب يكون هناك حل إستئصالي ومؤلم للمشكلة...

ثم أضاف بنفس اللهجة:

-فأراد ترتطيب الأجواء بينه وبين جاره بإختصار...، لهذا عزمكم...

هنا شعر (سامي) بشفقة شديدة تجاه جاره ، ومما زاد شعوره بذلك هو قول (هانري):

-أنت تعلم أن والدي يحبك... ، ولديك مكانة خاصة عنده... ، إنه لا يريد يوتر علاقته مع أبيك لهذا السبب ، خوفاً أن يدفعه لعزلك عني... ، أحياناً أشعر أنك أقرب إلي أبي مني...

أطلق (سامي) ضحكة فقال مازحاً:

-أنت أصلا أبعد شخص عنه في هذه الدنيا...

شاركه (هانري) في الضحك وكأنه يوافقه...

وبعد مرور ساعات طويلة...

ها هم أفراد عائلة (سامي) (الآلبستن) يرنون جرس بيت الجيران وقت العصر ، بيت (الكالوم) الذي فيه (هانري)...

الكل يرتدي ثياب مرتبة ، والأم ترتدي ملابس محتشمة نوعاً ما ، تلبس بنطال وقميص فوقه معطف مفتوح.

obeikandl.com

إنفتح الباب وكان (إيدود) والد (هانري) يستقبلهم ، يوزح عليهم إبتساماته يقول لهم:

-مرحبا!!...تفضلوا.. تفضلوا... ، شرفتونا!...

لاحظ (سامي) أن هناك بقاية الطعام قليلة ملطخ على ثوبه وشعره ، سأله بفضول:

-ما هذا؟

لما إلتفت (إيدود) لهذا الأمر وضع يده خلف رأسه يقول بإحراج:

-أووه ، هذا من الكعكة التي أجهزها لكم...

لما دخلوا المنزل ، كانت هناك كعكة كبيرة في إنتظارهم عند الصالون فوق مائدة زجاجية مرتفعة.

لكن (سامي) تفاجئ من حالة الكعكة المزرية ، وطهيها السيئ.

هناك شمعة سقطت من الأعلى على الصحن الكبير ، مما دفع (إيدود) يطلق حلطمة يحاول تعاديلها.

ومما أثار تعجب (سامي) هو ملاحظته أن (إيدود) قد أنجز حملة شاملة لتنظيف وترتيب المنزل لدرجة أنه جعل البلاط يلمع أشعة الضوء.

هنا فجأة سمعوا صوت (ريتشل) تهتف بصوت حاد وتصرخ قائلة:

-(سااااالي)!... إفتقدتك!...

كانت الطفلة (سالي) ترتدي ملابس مرتبة ، وشعرها ملفوف في قرنين ، دخلت الصالون في فضول.

و(ريتشل) تنقض تجاهها كالأسد ، أمسكت بها وضمتها بأقوة قوتها تشبعها بالضم والقبلات فتقول بفرحة غامرة بصوت حاد وصاخب:

-أووووه (سالي)... ، كم إفتقدتك يا أمّوورتي الصغيرة!... ، يالك من فتاة ظريفة!

في أثناء وضع (سامي) يده على جبهته يقول مغمغماً لنفسه:

-أختي يالك من مجنونة

أخذت (سالي) تحاول مقاومة (ريتشل) بيأس فتقول بصوتها البريئ:

-آآآي!... ، أنتي تؤلميني...

ولم يزد (ريتشل) عن ذلك سوى إصدار مزيداً الصياح الحاد الصاخب تشبعها بمزيد من الضم والقبلات.

تبادل (إيدود) و(جايمز) و(ماري) تلك النظرات والضحكات الودية جراء ذلك المنظر الطريف بين أبنائهم ، و(ريتشل) تقول بلهجة تدليلية:

-تريدنا نذهب لحجرة نومك؟ ، هيا بنا...

إنصرفت (ريتشل) تحمل (سالي) ، وبدأت تصعد بها الدرج ، حرك (سامي) رأسه ينتقد أخته في باله فقال لنفسه:

-(ريتشل) تتصرف في بيوت الآخرين كأنها بيتها...

ثم إنتبه (سامي) لشخص كاد ينسى عنه.

إنه (كالفن) جالس عند الكعكة ، يتشممها ، ويسحب بإصبعه لعقة تلو أخرى ويلعقها.

فجأة أمسكت أمه بيده بصرامة فقالت بخفوت غاضب:

-توقف!...

تكلم (إيدود) بلهجة ترحيبية: